حياة البرزخ ...
وأشراط الساعة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٨/٩/٣٣٥١)

٢٤٦
ولويل، كامل جميل
حياة البرزخ وأشراط الساعة/ كامل جميل ولويل._ عمان: دار المأمون للنشر، ٢٠٠٨.
() ص
ر.أ: (٣٣٥١ /٢٠٠٨/٩).
الواصفات: /الوفاة//الحياة الآخرة// الإسلام/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

حياة البرزخ ...

وأشراط الساعة

الدكتور
كامل جميل ولويل

المأمون
دار المأمون للنشر والتوزيع

شكرا وعرفانا

إلى الزوجة الصاحبة الودود أم جميل، شكرا لها على توفير الأجواء المناسبة لي للعمل، والكتابة والخلوة مع الكتاب والقلم.

وإلى ابن الشقيقة (مهندس الأبراج) أحمد سعيد ولويل، الذي أصر مع الأبناء على الإسهام بطبع هذا الكتاب، ليكون إسهامه مع أبنائي ذخراً بصيغته العلمية النافعة في دار يعز على أي من الخلق أن ينفعهم فيها، إلا ما قدموا وأخروا.

وإلى الأبناء الذين لا أجد أجمل من وصف الرسول فيهم " إنهم جماع فؤادنا، إلى جميل وماهر ونجاة وأبي بكر وعمر وفيكاه وأحمد، مع حفظ ألقابهم الهندسية والتعليمية والطبية والحاسوبية، شاكرا الله على نعمه، هُجرت مرغماً إلى بلد عربي طيب الأردن، ومن يهاجر في سبيل الله يجد مراغماً كثيراً وسعة وقد أعان الله أن أكون بفضل الله جزءاً فاعلا في تقدمه وتلاحمه والذود عنه.

وأقدم جميل شكري وامتناني إلى أخي الدكتور مأمون جرار وإلى دار المأمون على تعاملهم مع الكتاب السابق " حوار بين الحق والباطل – مع د. زكريا بطرس" على أنه كتابهم، وعلى أنه وجه من وجوه تلك الدار الثقافية، إن الإخلاص بالعمل يريح النفس، ونعما هو.

تقديم

د. مأمون فريز جرار

هذا كتاب مهم لكاتب محقق مدقق، شغل باله ما يجب أن يشغل بال كل إنسان، من مسائل ليست هي من ترف القول، أو مما يستغنى عنه.

وقد كانت جولات لقلمه من قبل في علوم العربية وقضايا الفكر الإسلامي، أجاد فيها وأفاد، ونقّب وبحث، ولئن وجد من يخالفه الرأي في بعض ما ذهب إليه، فذلك شان أهل العلم قديماً وحديثاً.

وقل مثل ذلك في حديث المؤلف عن حياة البرزخ، إنه يبحث عن مرحلة من مسيرتنا في رحلة الخلود، ويسأل عما يكون من حالنا بعد الموت، وهو سؤال يبحث عن جوابه في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

أما هذا الكتاب: حياة البرزخ وأشراط الساعة فهو يتحدث عن موضوع لا غنى عنه لكل إنسان، لأنه في هذا المجال بين أمرين هما: بعض علامات الساعة التي يعيشها أو التي اعتبرت في الكتب السابقة أنها أشراط الساعة ولكنه يرى أنها ليست كذلك بل هي أخبار للرسول ﷺ عن مستقبل هذه الأمة وما تعايشه من أحداث ليكون للمسلمين تصرف إزاءها عند وقوعها، ولابدّ أن يعرفها، ليعرف آية من الآيات الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، وليعرف كيف يقابل هذه الآية بما فيها من ألوان الفتن والابتلاء، وهذا الذي أورده من العلم النبوي الذي قدمه لنا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، رحمة بنا، وليكون هاديا لنا في مسيرة الحياة.

ويعجبك في هذا الكتاب سعي المؤلف الكريم إلى استقصاء الآراء، لا استقصاء الجامع لها فحسب، بل المحاور لأصحابها ليصل إلى ما يراه صوابا.

جزى الله أبا جميل، الدكتور كامل ولويل، خير الجزاء على نيته الطيبة، وحسن عمله، وجعله في ميزان حسناته، ونفع به، وجعلنا في دار المأمون شركاء له في أجر نشر العلم النافع.

والحمد لله رب العالمين

حياة البرزخ

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية تشغل بال كل إنسان !

يشترك أهل الأرض جميعا في تداولهم الرأي عن البرزخ، لا فرق في ذلك بين إنسان يعيش في مكة المكرمة أو إنسان آخر يعيش في واشنطن، ولا فرق في كون هذا الإنسان مؤمنا بالله معترفا بفضله أو جاحداً بالله وفضله، ولا فرق بين من اتصف بلون أبيض أو اتصف بلون أسود أو بلون هو بين بين.

لماذا يشتركون جميعاً في الاهتمام بالبرزخ، وفي الذي يجري فيه، وفي سكونه وفي ظلمته وفي مفارقة الروح للجسد، وفي مقام هذه الأرواح وعودتها أو عدم عودتها، لماذا يتحدثون عن النهاية فيه أو البداية فيه؟ عن العذاب الذي يقع على فئات وعن النعيم الذي يقع على فئات أخرى، أو عن نفي العذاب ونفي النعيم معاً، إذ قالوا ما البرزخ إلا حفرة تتفتت الأجساد فيها ثم تحول إلى عناصرها الأولى وقد تدخل هذه العناصر في تركيب الأشجار فتصبح ورقة تسقط أو تصبح ثمرة تؤكل أو تتحول إلى قطعة أثاث، لماذا يقول لك أحد إخوتك المسلمين : لا تجلس على القبر فإن له حرمة خاصة ويقول لك آخر: ما هذا إلا تراب، وليس له حرمة ولا قداسة! إنه يهز نفوسهم هزاً عنيفا مهما أظهروا لك من التجلد والصبر، إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، إن البرزخ هو أحد مشاغل الأمم، ولكنه في أكثر الأوقات كامن في النفوس، ولا يظهر على السطح إلا في أوقات محددة محزنة، تذهب إلى المقابر ثم تعود تاركا أبا أو أخا أو ابناً أو صديقاً، أو عزيزاً، أو صاحب شأن، في هذه الفترة يكثر الحديث عن البرزخ، ذلك المسلم له رأي، وقد يكون مسلما منتمياً لمذهب معين فتتأثر نظرته بذلك المذهب، وقد يكون نصرانيا فيكون له رأي آخر، وقد يكون يهودياً فتجده يشرح لك عن وضع لهذا الميت يتصف بكذا وكذا، وربما كان علمانيا يرى أن الجسم سيتآكل، ويدخل في دورة الطبيعة فما هي الحياة إلا أرحام تضع وأرض تبلع، إن هذه القضية تشغل بال الجميع وتؤثر في جميع الأمم.

كل يعزز مذهبه، وكل يجري وراء مذهبه، وللفرد طريقه وللجماعة طريقها فياليت شعري ما الصحيح؟ ليس من معرفة الصحيح بد، فيجب أن نعرف.

إن الصفحات التالية طافحة بأخبار هذه الرؤى، ولكن كاتبها المسلم يشرح كل الأفكار ويأخذها بالظن، ولكنه يأخذ الرأي الذي يستند إلى كلمة الله وكلمة رسوله باليقين والتسليم لأن الله تعالى هو الذي أوجد البرزخ، وأبلغ رسوله بشيء من المعرفة عنه.

الآراء متناقضة عن البرزخ

١- آراء أربعة:

قال كثير من علماء المسلمين إن نعيم القبر حق وإن عذاب القبر حق، وتحدثوا عن الذين ينالون النعيم وعمن يقاسون العذاب، وتحدثوا عن العذاب المحدود زمنا ونوعا في القبور، وعمن عذابهم دائم ما دامت القبور، وقد لخص عدد من الكتاب أفكار أولئك العلماء، منهم الدكتور شرف القضاة ومنهم عكاشة عبد المنان، ومنهم الشيخ حسنين مخلوف، والشيخ البوطي، ولو شاء القارئ أن يقرأ كتابا كاملا عن أقوال العلماء السابقين الذين ثبت لديهم أن عذاب القبر وأن نعيمه حق لو شاء ذلك لأرشدته إلى كتب كثيرة ولكن التلميح يغني عن التصريح، وخير الكلام ما قل ودل وفي الخلاصة غناء عن التفصيل .

قال السيد عكاشة عبد المنان: «اتفق أهل الحق على أن للنفس الناطقة حياة بعد هذه الحياة تنال فيها ما أعد الله لها من ثواب وعقاب وأن الله يخلق في الميت نوعا من الحياة قدر ما يحس به الألم ويستشعر به النعيم، أما كنه هذه الحياة وحقيقتها على أي وجه تكون فلم يقصه الشرع علينا» [١]، هذا ما أجمله من آراء العلماء السابقين وهم بالمئات ثم رأى أن يزيد من لدنه شرحاً لآية يعتمد كثير من المنكرين، وكأنها حاكت في صدره فقال السيد عكاشة، قال تعالى ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١] الإماتة الأولى قبل زيارة القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه، ثم الإحياء للنشر فإحدى الحياتين هي حياة القبر على الراجح [٢]، وقال سيد سابق:- «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن[٣] الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، والروح تتصل بالبدن أحيانا وفي يوم القيامة تعود الروح للجسد».

٢- وأخذت طائفة بالإنكار، فقد أنكروا شيئا اسمه الحياة في القبر، وركنوا إلى تفسيراتهم العقلية، وأقدم ملخصا لأفكارهم التي تبنوها في نعيم القبر وعذابه أو قل في أفكار هذا النعيم وذاك العذاب، فهم يتصورونه جثة ولا يستطيعون أن يروا هذه الجثة تجلس وتسأل وترزق وتتكلم، وهذه أقوالهم

---

(١) عذاب القبر – عكاشة عبد المنان – صفحة ٣ – ٤.
(٢) المصدر السابق ص٤
(٣) القصائد الإسلامية ص ٢٣٧ وسيد سابق، الإيمان – د. محمد نعيم إسماعيل ١٢٨.

مجملة وبشيء من التصرف في العبارات بحيث لا نبدل أي معنى أرادوه ولا أي هدف قصدوا إليه، قالوا: (نشاهد الميت مدة ولا نرى فيه حركة ولا حياة، ونشاهد بنيته تتعفن وتتآكل وتتفتت، وربما يوضع في صندوق لا يتسع إلا لجثته لأنه ضيق ولا نتصور كيف يجلس فيه، وربما يحرق بالنار فيذرى في الفضاء براً أو بحراً وربما تأكله السباع- فكيف نعقل شيئا مما يذكر عن النعيم أو العذاب والسؤال والجواب) [١].

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري: (قال الكرماني ليس في القرآن عذاب قبر)[٢].

٣- آراء في التناسخ والتقمص: لقد تناول عدد من علماء الروح مسألة سفر هذه الروح وخروجها من الجسم ورأوا أن لها مقاما تلجأ إليه لا يمكن أن تتبخر كما يتبخر الماء، فقالوا فيها آراء كثيرة وكانت ملاحظاتهم في أكثرها شخصية وتأملية، قال السيد نايف زهر الدين وهو من الذين يؤمنون بالتقمص: «ونعود إلى عودة الروح إلى الحياة وتنقلاتها من جسد إلى جسد والتي يعبر عنها بالتقمص، أي الانتقال من قميص إلى قميص، وقد شبه الجسد بالقميص، وهكذا تخلع الروح جسدها القديم بعد موته لتلبس قميصا جديداً أي جسد طفل جديد يأتي إلى هذا العالم» [٣]. وقال يصف هذه الروح: (إنها عنصر بسيط غير مركب أبدعت من لطيف العقل الكلي بتأييد من الباري تعالى فاكتسبت صفة اللطافة وقد وجدت في هذا الجسد الكثيف المركب الذي يتألف من عناصر تتحلل وتتفكك بحكم القانون الطبيعي الإلهي ليعود إلى المادة التي كون منها، بينما النفس تنتقل لكونها عنصراً غير مركب إلى جسد آخر)[٤] .

وقد استشهد السيد نايف زهر الدين بالتوراة والإنجيل والقرآن ليثبت نظرية التقمص، ولكني وجدت تلك الاستشهادات تقبل معاني كثيرة فلا نستطيع أن نقول للقارئ: قف هذا دليل التقمص ولكني رغم ذلك أذكر تلك الاستشهادات ليحكم عليها القارئ بنفسه قال: «ورد في التوراة على لسان النبي سليمان: دور

(١) مجمل افكار من عدة مصادر
(٢) فتح الباري للعسقلاني ٣ / ١٨٠.
(٣) الحياة بعد الموت/ لنايف زهر الدين ص٢٤.
(٤) الحياة بعد الموت ص ٢٥- ٣٠.

ينقضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد والشمس تشرق والشمس تغيب» [١].

واقتبس من النصرانية: «لماذا يجب أن يأتي إيليا أولاً؟ أجابه السيد المسيح: إن ايلياء يأتي أولاً ويرد كل شيء ولكنني أقول لكم إن إيليا جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا[٢]» وقال زهر الدين وأما في القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[البقرة: ٢٨]

إن هذه الاستشهادات ليست قاطعة في شيء بالنسبة لما رآه السيد نايف زهر الدين، ولكنها على لسان سليمان تعني هذه الطبيعة التي أمامنا لها دورة من اجل الليل والنهار أي راحة الناس وعملهم وتكون عناصر الطبيعة مثل الأوكسجين والنتروجين وثاني أكسيد الكربون ومثل الثمر والبذور....،.... والمسيح يبلغ عن فشل بني إسرائيل في الاستجابة للنبي، والقرآن يخبر عن ضرورة الإيمان لأنكم ترون كيف تتولد حياة الإنسان وكيف تنتهي وستعود لتحاسب، التفاسير ليس لها وجه واحد يحسم الفكرة لدى السيد زهر الدين، لأن الكتب السماوية كلها أنبأت عن النهاية والقيامة وليس هناك أبدية فيحسن عدم الاستشهاد بها.

ولذلك قدم تفصيلاً واسعاً عن الملاحظات التي تحدث فيها علماء الروح عن انتقال الأرواح من شخص إلى شخص ومن حال إلى حال، فضرب أمثلة من محيطه العربي ومن المحيط الأجنبي، تحدث عن (كايس)[٣] وسماه النبي النائم، وهو أمريكي كان يكفي أن يذكر اسم المريض وعنوان المريض فيصف له علاجاً بالأعشاب والتمرين وذلك خلال غيبوبة يدخل بها، وطريقة الغيبوبة بسيطة وهي أن يحل الربطة من عنقه وشريط الحذاء والحزام ويستلقي فيصبح في غيبوبة، وتطرح عليه الأسئلة فيجيب عنها، سواء أكانت عن زعماء قدماء كالفراعنة أو عن علماء قديمين أو حديثين.

وعلى الخط ذاته ألفت الدكتورة نورث غورثون كتابها عن الأرواح وهو: The World Beyond، قالت فيه كلاماً لا يقبله إلا الروحانيون وعلماء الروح قالت: إن المؤلف آرثر فورد خبير الأرواح قد اتصل بها وأملى عليها الكتاب

---

(١) الحياة بعد الموت حقيقة اسم خيال، نايف زهر الدين ص٩٦.
(٢) الحياة بعد الموت، نايف زهر الدين/ ص ٩٦ وص ٣٢
(٣) الحياة بعد الموت / نايف زهر الدين / ص ١٣٤

حرفا حرفا) وضربت أمثلة عن زعماء وسياسين وعلماء، قال ثابت زهر الدين عن مدام نورث غورثون: «إن روح الزعيم ابراهام لنكولن فضلت أن تعيش في كندا، وإن الروح فالنتينو فضلت الذهاب إلى باريس وتزوجت هذه الروح باريسية، ورأى زهر الدين أن محصلة هذه القصص والحالات تثبت أن الحياة بعد الموت (حقيقة ثابتة لا خيال»[١].

وقد أعجبني قول السيد زهر الدين الذي جمع في كتابه أشياء كثيرة عن الأرواح وتقمصها أعجبني قوله: «لاشك أن علم الأرواح علم له احترامه لكن مع الأسف تسلل إليه عدد من النصابين وراحوا يتاجرون به» [٢].

ولعلي لمست شيئا من هذا في الكويت، فقد كان ثمة رجل روحاني تعلق باستحضار الأرواح ومخاطبتها والطلب إليها أن تشفي المرضى، وكان في بيتنا شاب مصاب بالصمم منذ الشهور الأولى لولادته، فأعطيت اسم هذا الشاب لصديق لي كان معجبا بذلك الروحاني ومجالسه التي يعقدها في مدينة النفط بالكويت وهي مدينة الأحمدي، ولكن النتيجة كانت وهماً كما كانت البداية وهماً. وقد قرأت مقالا للسيد محمد حسنين هيكل يتحدث فيه عن الجنرال محمد فوزي، وما أصعب مهمة ذلك الجنرال لأنه تسلم رئاسة أركان الجيش المصري بعد نكسة عام ٦٧.

واستطاع أن ينجز في أربعة أشهر جيشا وطنيا مؤمنا متمرساً، ولكنه انزلق للاستماع لهؤلاء الروحانيين فترة من حياته وهو يشرف على أهم جهاز عسكري في البلاد العربية، لقد أشار هيكل في جريدة الأهرام أنه كان يسأل الروحاني الذي يحضر مجالسه عن وقت الحرب ونتائج الحرب وما تعلق بالحرب، وكانت النتائج واهمة بدءاً ونهاية، فليس ذلك العلم العسكري من مجال الروحانيين، لكنهم يستطيعون التأثير كما ذكر السيد زهر الدين لأن النصابين أو المتأخرين يستطيعون التلبس بأدوار ساحرة فاتنة.

٤- الرأي الرابع التكلف في آية آل فرعون في هذا الخضم اشتدت علاقته؛ أي التكلف بالآيات الكريمة، هذه الفئة تقرأ الآية عن آل فرعون فيقولون، عذابهم واضح إنهم يعذبون في قبورهم، وتلك فئة تتكلف الآية نفسها فتقول قدم هذه العبارة وأخر هذه العبارة يكن لك معنى آخر، هذا الرأي لم يفارق الآية ولم يفارق الحديث لكن غلب على جزء منهم فهم معين للآية وفهم معين للحديث، وتكلفوا كثيراً، فرفض بعضهم الأحاديث

(١) المصدر السابق بعد ص ٢٦

(٢) المصدر السابق بعد ٨٢.

الشريفة لأنها أحاديث آحاد لا نستطيع بها تأكيد العقائد فيما تسول لهم أنفسهم وقال آخرون: لا يجوز رفض أي حديث شريف ثبت لدى رواة الحديث صحته، بل ورد في كتب الأحاديث التي أطلق عليه العلماء (كتب الصحاح). إنّ هذه الأحاديث موثقة جداً عقيدة وعملاً.

وكانت الآيات المتعلقة بالأماته والإحياء هي الأشيع في فهم عذاب القبر ونعيم القبر، قالوا: اقرؤوا الآيات ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾[1] ماذا تعني؟ والذين قالوا هم من المفسرين، وهؤلاء ليسوا من أصحاب الأقوال العابرة، وكان على رأسهم الفخر الرازي، وقد وجدته يتبنى الرأي التالي: ((إن هذه الآية تدل على المنع في الحياة في القبر، وبيانه أنه لو كان كذلك لكانت قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في القيامة، ولكن المذكور في الآية حياتان فقط»[2] ، وقال: قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون:١٥] [3] قوله تعالى يدل على نفي عذاب القبر لأنه تعالى لم يذكر بين الأمرين الإحياء في القبر والإماتة، واستشهد أكثر القائلين بعذاب القبر بالآية التي عن آل فرعون، قال سبحانه ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦][4] فهي عذاب ولكن بالعرض لا بدخول النار، فهو يعلمه الآن أن مصيره إلى النار، ولكن خبره جاءه إلى القبر فهو يرى مقامه في القبر ثم في الآخرة، وعبارة «ويوم تقوم الساعة»، تدل على أن الساعة لم تقم، فهذا العرض في قبورهم، وهو قرآن وليس هناك حاجة لنقول هذا برواية فلان عن فلان، ولا أن البخاري راويه، وأن البيهقي يفسره، إنما هو قول الله تعالى.

وقد يحس القارئ مدى الإغراق في التكلف في شرح هذه الآية، قال الطوسي: «يوجد في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير هو حاق بآل فرعون سوء

---

(١) سورة غافر ١١
(٢) تفسير الفخر الرازي ٧ / ٢٩٠
(٣) سورة المؤمنون ١٥- ١٦
(٤) سورة غافر ٤٦

العذاب، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشياً أي أبداً لأن جلودهم تتبدل غدوا وعشياً»[١].

لقد تكلف كثيرا وهو يرتب الأعمال التي في هذه الآية، وربما يكون قد أصاب وربما يكون قد أخطأ، فكل ابن آدم خطاء، فكان من سلامة القول وقوة المنطق أن يقول: يحتمل هنا وجهان في الآية، أن تكون على نظامها الموجود وترتيبها الذي وضعه الله تعالى في هذه العبارات، فيقول، غرقوا، وهذا عذاب، وعرضت عليهم مقاعدهم من النار أي عرفوا أنهم ذاهبون إلى النار، واستمرت الرؤية غدواً وعشياً، وهذا عذاب أيضاً، ثم تقوم الساعة فلهم هنالك أشد العذاب، هذا ظاهر الآية وهو واضح جداً وليس فيه تكلف ويناسب كون القرآن عاما بأسلوبه المبين الذي نزل لمليارات البشر.

ثم يقول الطوسي وله الحق أن يفهم ما يشاء بشرط أن يبين سبب خروج هذه الجمل عن نظامها العادي، فإن كان حصل تقديم فلماذا حصل؟ وإن حصل تأخير فلماذا حصل؟ وعليه أن يبين سبب قوله تعالى: (النار يعرضون عليها) لماذا رفعت كلمة (النار) انظر إلى الترتيب اللغوي المحكم فيها: " وحاق بآل فرعون سوء العذاب " جاءت كلمة السوء مرفوعة، أي هناك عذاب وهناك سوء عذاب، فالموت مصيبة وعذاب، فإن المسلمين يبكون على ميتهم، كما يبكي الميت عند رؤية شواهد الموت والفراق، وهذه حالة عامة للمسلم والكافر، الكتابي وغير الكتابي، ولكن سوء العذاب لها إيحاء خاص بها فهذه شدة على شدة، وضغط على ضغط، ما هو السوء في هذه الآية؟ لقد جاءت الجملة التالية لتشرحها فتقول: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾، هذه الجملة تفسر كلمة سوء العذاب ولذلك جاءت كلمة (النار) مرفوعة كما هي كلمة سوء مرفوعة، هذا كله في القبر، ولكن عندما تقوم الساعة سيدخل آل فرعون عذابا أشد من أي عذاب لغيرهم.

وهناك نقطة أخرى تدل على تكلف الطوسي، وهي نقطة الغدو والعشي إذ ربط تغيير الجلود يوم القيامة بهذين الوقتين! ولكن لا يوجد في القرآن ما يدل على وجود الغدو والعشي يوم القيامة، الآية تقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] إن التبديل عملية سريعة جدا لأن حرق الجلد في تلك النار اللظى لا يستغرق من الفجر إلى العشاء، إنه في أقل

(١) تفسير البيان للطوسي ٨٣/٩

من دقيقة يكون قد تفحم فيبدل جلد بجلد، نجانا الله تعالى. اللهم زحزحنا عن النار؛ كل ذلك من الطوسي كان تكلفا، وأنا مؤلف هذا الكتاب أحذر نفسي وأحذر كل متخوف من عذاب القبر. إنه خطوة مريرة جداً للكفرة، ولذلك يتعوذ المسلم منه.

هذا هو الرأي الرابع، لقد قام على تأويل عشرات الآيات المتعلقة بحياة البرزخ وعلى تأويل عشرات الأحاديث المتعلقة به أيضا، ومن هنا كان للفرق الإسلامية آراء عديدة في البرزخ، أفيه حياة؟ أم ليس فيه حياة؟ وهذا هو القسم الأكبر من الناس الذين تحدثوا في كتبهم عن القبور نعيمها وعذابها، لم يكن هناك كتب كثيرة في موضوع البرزخ، بل تأتي الآراء ضمن مؤلفات وكتب للمؤلفين قد يكون الموضوع ثلاثين صفحة أو خمسين صفحة أو أقل أو أكثر.

رفض حياة البرزخ

لقد رفض حياة البرزخ فئات وطوائف ومذهبيون وأفراد، وكان لرفضهم أسبابه وعلاته، وأستطيع أن أجمل أفكارهم في هذه الأسطر التالية، ويترك الحكم فيها للقارئ، فإنه ما قام واشترى واقتنى الكتاب إلا لأنه يرى أن من حقه ان يعرف مصيره، وإن قرأ الكتاب من مكتبة فانه يجري عليه نفس الظن، حتى لو جاءه الكتاب من صديق أو قريب أو من يحب له المعرفة ليستعد في أيامه التالية لحياة القبر أو عدمها، فإن الظن يجري عليه بنفس القدر. وإليك أنواع أولئك الذين رفضوا حياة البرزخ.

أولاً: الجاحدون المنكرون: الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر، وكانت الشيوعية أبرز هؤلاء في عصرنا الحاضر أو ما سبق هذا العصر بقليل، واشتهرت عندهم مقولتان واحدة لكارل ماركس في كتابه رأس المال إذ قال: «إن الله لم يخلق الناس، ولكن العكس هو الصواب» ومقولة ستالين في كتابه (الديلكتيكية) أي المادة والمادة فقط، إنها لا تفنى ولا تنعدم كما أنها لا تخلق من العدد، فأنكر الخلق، وأنكر الألوهية، ولا تقولن إن هذا شيء خاص بهؤلاء فقط، فان الزندقة والدهرية والزردشتية وتأليه الشمس وتأليه الجبال و.... و..... كل ذلك يمحو حياة البرزخ كما يمحو حياة البعث والنشور والحساب والجزاء. ولا أظن قارئاً لم يحط بهذا خبراً.

ثانياً: أقوال بلا أدلة: من قرأ لكتّاب أفكاراً عن البرزخ، ولم يجد لهذه الأفكار أدلة تحدد له طبيعة هذا البرزخ وتبرهن على وجوده، فإنه يتبادر إلى ذهنه عبث هذه الأقوال، بل إنها لا ترقى إلى مستوى الفكر. إنّ الأدلة هي التي تجعل الأفكار مقبولة لدى النفس.

وأمثل لذلك ببعض الأفكار، إذا جاز لنا أن نسميها أفكاراُ، قال الشيخ إبراهيم نايف السباعي: البرزخ ليس نهاية حياة الإنسان، بل هو بداية ومقدمة لحياة ما بعد الموت لأن الإنسان يعيش ثم يموت، ثم يعيش ليموت وبعدها يحمل إلى حياة أخرى فيها يحشر، ولعل أجمل تلك المراحل هي مرحلة البرزخ حيث يحيا الإنسان فيها حياة طيبة، لا نصب فيها ولا جهد ولا تعب ولا عمل حيث المؤمنون مكرمون معززون متنعمون وكل ذلك بفضل ما عملوا، وحصاد ما صنعوا، فالمؤمن تبدأ بعد موته حياة عزه وعلو شأنه والكافر مخذول مدحور، حيث تبدأ بعد موته آلامه وتشرع حياة الذل والهوان فقد بات عبداً لا حول له

ولا قوة» [١] أرأيت دليلاً في قوله كله؟ هذا غيب فكيف نتعامل مع الغيب بهذا الحسم وتلك السهولة دون دليل أو برهان أو أي شيء نستند إليه؟

وقال السيد عكاشة عبد المنان الطيبي: «الجسد بعد دفنه يتحول إلى ذرات، ويعود إلى عناصره الأولى، ليدخل في إنبات شجرة، فهو على صورة تراب تمتصه الجذور، فيصبح قطعة أثاث أو جلد حيوان، أين نجد التفاصيل التي قيلت في اليوم الأخر؟ هل قيلت في عذاب القبر إننا لا نجد ما يشير إلى عذاب القبر، أين من سأل عن عذاب القبر؟ أين القرين الذي يؤيده ألستم تقولون إنها من العقائد؟ عقيدة لا يذكر عنها شيء؟» [٢].

وقال أيضا: قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[الزُّمَر: ٤٢]، لقد أطلق على النوم لفظ الوفاة كما أطلق نفس اللفظ على الموت، فلا يتألم المحتضر جسمياً ولا ينزعج نفسياً، إنما يرحل هادئ النفس فما أيسرها من رحلة، وما أسهله من انتقال، إذ يتم كما يتم نوم الإنسان ثم ينهض في الحياة الآخرة كما ينهض الإنسان» [٣].

وقال أيضا: (قال العلامة الأمير في حاشيته على شرح جوهرة التوحيد للقاني، قال: إنه بعد خروج الروح من الإنسان لا تعود إليه إلا في يوم القيامة، فإذ يقول الإنسان «رب ارجعون» يقال له: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» هل قدم أي دليل تطمئن إليه النفس؟ هل عالج الأمر الغيبي بشيء يقبله العقل؟ هل نجهل أن الإنسان يتحول إلى تراب؟ هل قرأ سورة القيامة قبل أن يقول ما أيسرها من رحلة وما أسهله من انتقال! ثم يسمى كتابه بعد ذلك كله (عذاب القبر في الميزان)، إنا لا نرى أي ميزان وضع لنعرف هل أثبت شيئا عن حق أو نفى شيئا عن حق؟ قال أبو حيان في البحر المحيط قوله تعالى: «من راق» يذكرهم بصعوبة الموت.

ثالثاً: الحديث الشريف وإنكاره:

لقد ركن الذين أنكروا حياة البرزخ إلى وصف الأحاديث عامة بجمل رأوا أنها تغنيهم عن البحث وتغنيهم عن الاعتقاد، قالوا (هذه الأحاديث التي تتحدث عن حياة البرزخ إنما هي أحاديث آحاد، ولذلك لا يصح الاعتقاد بها، وإذا أردت استخدام هذه الأحاديث في شؤونك العملية فلا بأس لكن أنْ نسلم بإثبات شيء

---

(١) سفر في عالم البرزخ / للشيخ إبراهيم نايف السباعي / ص ٥
(٢) عذاب القبر في الميزان – عكاشة عبد المنان الطيبي/ ص ١٣٨
(٣) عذاب القبر في الميزان/ عكاشة عبد المنان الطبي ١٣٨

بالغيب بهذه الأحاديث فلا فهي مرفوضة جملة وتفصيلا) هذه جملة من أقوالهم، وصفوها بالآحاد ثم أنكروا أي أثر لها في العقيدة.

إن لذلك أمثلة كثيرة ولكننا نضرب بعض الأمثلة لتكون الصورة شاملة بين يدي المسلم، فيقرر ما يشاء لنفسه، وإننا كمسلمين نميل إلى الاستشهاد بأحاديث النبي ﷺ عن الشهداء وإليك الأمثلة التي تتعلق بالشهداء وغير الشهداء.

روى مسلم: «أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة كشف تشاء، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)[1]، وروى النسائي في سننه قال: قال رسول الله (ﷺ):

«إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[2].

وروى الإمام أحمد بن حنبل في باب الزهد، عن كعب، قال النبي (ﷺ) أوحى

الله إلى موسى عليه السلام «تعلم الخير وعلمه الناس، فإني منور لمعلم العلم ومعلمته قبورهم حتى لا يستوحشوا مكانهم" ص٢٣، وروى الشيخان عن عمرة أنها سمعت عائشة وقد ذكر لها أن ابن عمر قال: أن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله (ﷺ) على يهودية يبكي أهلها عليها، فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها».

وذكر البخاري عبد البراء بن عازب عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله (ﷺ) خرج حين وجبت الشمس، فقال: «هذه أصوات يهود تعذب في قبورها»[3].

وروى البيهقي عن كتاب صحيح مسلم أن " رسول الله (ﷺ) مر على حائط لبني النجار فإذا هو بقبر يعذب صاحبه فحاصت البغلة فقال: «لولا أن لا تدافنوا

---

(١) مختصر صحيح مسلم.
(٢) كتاب الجنائز ٤ / ٨١ رقم ٢٠٧٣.
(٣) كتاب الجنائز من صحيح البخاري / ج٢ / ص ١٢٣ الرقم ١٣٧٥، ٢ - ١.

لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»[١].

وجاء عند البيهقي أيضاً وفي نفس المصدر، وروى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه وعافه وأكرم نزله وأوسع مدخله وغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وقه فتنة القبر وعذاب النار" .

وقد اشتهر قول عثمان بن عفان: (إذا مات الإنسان قامت قيامته)، روى ذلك كتب الحديث على اختلاف أزمنتها، ورئي يبكي بكاء شديداً، فقالوا له، مالك لا تبكي لعظائم الأمور ونراك تبكي هنا؟ فقال : هذه هي المنزلة الأولى فإن كانت يسيره كان ما بعدها أيسر منها وإن كانت عسيرة فما بعدها أعسر منها، ذلك ما حدثت به كتب الحديث، وقد ثبت البيهقي هذا الذي قيل عن عثمان بالرواية التالية: روى هانئ مولى عثمان بن عفان " كان عثمان رضي الله عنه" إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال أن رسول الله (ﷺ) قال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منها فما بعدها أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده شر منه، قال: وقال رسول الله (ﷺ): ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»[٢].

وأنهي هذه الأحاديث المباركة بحديث أبي هريرة الوارد في كلا الكتابين المهمين: البخاري ومسلم قال النبي: أسرعوا بالجنازة فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" كلاهما وضعه في كتاب الجنائز من صحيحيهما.

ماذا قال المنكرون؟ قالوا إن هذه أحاديث آحاد، ولا نستطيع أن نركن إلى أحاديث الآحاد في كل ما يتعلق بالعقيدة قالوا ذلك، فرفعوا عن أنفسهم أثقالاً وإصراً، فهم إذاً يرون البرزخ موضعاً لتفتت الأجساد، وإن ما يقال عن النعيم والعذاب من وقوعه على الروح والجسد معاً أو على الروح وحدها أو على جزء من الروح وجزء من الجسد إنما هو ظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

وقالوا: الأحاديث ظنية والآيات التي اشتبه في كونها عن عذاب القبر فهي آيات خبرية ومكية وغير صريحة بعذاب القبر، وليست هي آيات محكمة ولا قاطعة في معانيها فلا نبني عليها عقيدة.

---

(١) إثبات عذاب القبر للبيهقي / تحقيق شرف محمود القضاة/ ص ٧٤، ص١٠٥، ص ٤٧.
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي / تحقيق شرف محمود القضاة/ ص ٧٤، ص١٠٥، ص ٤٧.

ما حكم الذين أنكروا؟ ربما كان قول البيهقي أوضح الذين تناولوا آراء المنكرين فاستنتج ما يلي قائلاً: (بما أن أحاديث عذاب القبر مختلف في تواترها، فلا يكفر منكرها، ولكنه يكون آثما لإنكاره مجموعة من الأحاديث الصحيحة والله أعلم)، ونقل عن الجمزاوي قوله: إنه فاسق لا كافر لعدم صراحة القرآن به كما أن حزب التحرير الإسلامي تطرق إلى هذا الموضوع، وقد وجدت من مجمل ما قرأته لهم في هذا الباب في مجلة الوعي الإسلامي أنهم لا يأخذون بعذاب القبر أو نعيم القبر ولكنهم يثقون بصحة الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، ويرفضون أن يحولوها إلى عقيدة، ويرفضون إنكار الأحاديث ويخطئون من ينكرها .

وممن اشتهر بإنكار حياة البرزخ: المعتزلة، والكرامية، والرازي والمريسي، وأبو الهذيل وكبار الخوارج (وضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة ويحيى بن كامل من شيوخ المعتزلة أيضا) [1] .

ويوجد في الأردن الآن من يتبنى هذا الرأي؟ وتجد أفكارهم قريبة جداً من أفكار المعتزلين السابقين؛ ولا أدري ما وجهة نظر البلاد العربية والإسلامية، وأظن أنهم لا يختلفون عما في الأردن ولكن هذا حديث ظن، ولكن ما نراه في الأردن شيء واضح ونسمعه ونجادل فيه.

رابعاً : الآيات التي دلتهم على الرفض:

١- آيات في عدل الله، قالوا: لو كان هناك عذاب قبر، فكيف يكون عذاب من مات على زمن آدم بمن يموت قبل قيام الساعة، إن عدل الله لا يقبل بذلك، قال سبحانه: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: ٣٠]

٢- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ فيوم الحساب هو يوم القيامة، وعذاب الآخرة هو الذي يحذرنا الله جلت قدرته منه، وهو ذلك اليوم المشهود أي يشهده الخلق وهذا لا ينطبق على القبور.

٣- قال سبحانه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان:٥٦] قالوا: لو كان في القبر حياة، فلا محالة أن يعقبها الموت، إذ لا خلاف في إحياء الحشر فيكون قبل دخولهم الجنة موتتان لا موتة واحدة.

---

(١) دراسات عقدية في الحياة البرزخية الشريف عبد الله بن علي الجارمي ص ٣٢.

٤- آية أمتّنا اثنتين، قال سبحانه: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١﴾ [غافر: ١١].

يحتجون بهذه الأعداد على نفي عذاب القبر، قال الرازي: «احتج قوم بهذه الآية عل بطلان عذاب القبر، قالوا لأنه تعالى يبين أنه يحييهم مرة في الدنيا ومرة في الآخرة، ولم يذكر حياة القبر، ويؤكد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥﴾، وذلك يعني عذاب القبر، لأنه تعالى لم يذكر بين الأمرين: الإحياء في القبر والإماتة فيه وقالوا، قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ [المؤمنون: ١١٢] يتناول كونهم أحياء فوق الأرض وزمان كونهم أمواتاً في بطن الأرض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا أن مدة مكثهم في الأرض طويلة، ولذا قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم»[1]

٥- اشتهرت الآيات التالية في (الإحياء والأماته) فقالوا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦﴾ ليس هنا ذكر لحياة القبر والإماتة فيه، وقالوا قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الجاثية:٢٦] فهو سبحانه يحيي، وهذه مرحلة أولى، ثم يميت، وهذه الثانية، ثم يجمعنا، أي يحييهم ثم يجمعهم إلى يوم القيامة، فلا ذكر فيه للقبر حياة وموتاً، وقالوا قال سبحانه: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ [البقرة:٢٨].

إن جميع ما ذكروه لم يتطرق إلى حياة في البرزخ أو عذاب في البرزخ أو نعيم في البرزخ، ولذلك استنتجوا أنه لا يوجد حياة في البرزخ لا للمؤمنين ولا للكافرين، وما القبر إلا حفرة تغطي هذه الجثة بدل أن تظل مكشوفة للناس، وفيه يتحلل الجسم إلى عناصره الأولى وتتسلط عليه الديدان والميكروبات حتى تأكله وتفنيه.

---

(١) سورة المؤمنون آيات ١٥ ــ ١٦

مقالة في الإنكار وردٌّ عليها

كُتبتْ مقالة الإنكار في مجلة اللواء الأردنية في صفحة (فكر) وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٠٠٢/١/٢٣، وأما عنوان المقالة فهو: قضية للنقاش: هل هناك عذاب للقبر؟ وقد لاحظت أن أكثر ما سمعته في المجالس التي حضرتها أو شاركت فيها إيجاباً أو سلباًُ ذكر في هذه المقالة، فهي فيما يقول علماء المنطق او علماء الكلام: مقالة جامعة مانعة، فقد بذل كاتبها جهداً في جمع الآيات التي رأى أنها تتعلق بموضوع (هل هناك عذاب قبر؟) وفي جمع الأحاديث المتعلقة به أيضاً، وحكم عليها جميعاً حكماً واحداً هو : إنها جميعاً تنفي عذاب القبر، وأن أدلة من قالوا بوجود عذاب في القبر باطلة وقال: إن الآيات التي استشهد به من يزعم أنه يوجد عذاب في القبر هي ذاتها التي تنفي العذاب ولكن إساءة الفهم قادتهم للخطأ، وان الأحاديث التي استشهدوا بها باطلة وشاذة وضعيفة، وأقدم للقراء هذه المقالة، وأظن أنهم يستطيعون التعامل معها وفقا لدينهم وتقواهم.

قال الكاتب:

القرآن الكريم ينفي عذاب القبر أو الحياة فيه والدلائل التي روج لها على عذاب القبر باطلة بدليل:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾[طه:١٢٤] هذه الآية تنفي تماماً عذاب القبر والدليل:

١- الآية تثبت أن هنالك فقط حياة دنيا وحياة آخرة ولا حياة في القبر، فإن كانت المعيشة الضنك في القبر كما يعتقد البعض فأين الحياة الدنيا؟ إن الضنك يكون في الحياة الدنيا، وذلك مع الشيطان والأمراض.

٢- لو أن هذا الإنسان عذب في قبره لعلم السبب ولكن كونه لم يعذب ولم يعلم مَصيره يفاجأ يوم القيامة ويتساءل قال: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾.

ثانيـاً: الاحتجـاج بالآيـة ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ قالوا إن العرض يكون في القبر ودخول النـار يكـون يـوم القيامـة، والحقيقـة هـي أن تفسيرهم للآيـة خطـأ وأوقعهـم فـي الأوهام، ودليل ذلك:

١- إن العـرض المـذكور فـي الآيـة يكـون صـباحاً ومسـاءً، وذلـك مـن خصائص الأيام، وفي القبر لا يوجد حياة لتكون هناك أيام، والأيام تعلقت فقط بالدنيا والآخرة وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ".

٢- أن العرض على النـار يكون يوم القيامـة قبل دخول النـار بدليل قولـه تعـالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأحقاف: ٣٤] لـذلك قدم سبحانه وتعالى العرض على النار قبل الدخول في الآية.

٣- أنـه لـو صـح قـولهم أن هنـاك عذابا فـي القبـر فالعذاب لا بـد أن يكـون مستمراً، والآية تنص على أن العرض يكون فقط صباحاً ومساءً فهل هناك فترة استراحة؟

٤- أن الآية تشير بوضوح إلى العرض وليس العذاب، وهذا دليل علـى أنـه لا عذاب في القبر ولا ندري كيف يفسرون العرض بالعذاب والضرب وغيره.

٥- أن آية أخرى في كتاب الله تتعلق بفرعون وجنده وكل من هم على شاكلتهم تثبت بالدليل القطعي أنه لا سؤال عند الموت ولا بعد الموت ولا وجود لمنكر ونكير ولا وجود لعذاب القبر وهي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس]. فمن يزعم السؤال والعذاب في القبر فهو غافل عن آيات الله تعالى ويقرأ دون تدبر، لو كان هناك سؤال عند الموت وبالقبر فكيف نطق فرعون بالشهادة والإسلام دون أن يسأله منكر ونكير؟ الجواب هو أنه عندما تيقن أنه لم يعد هنالك مجال للحياة وأنه ميت لا محالة تاب توبة اضطرارية ونطق بالشهادة فلم تقبل توبته ولا شهادته، مما يدل أنه لا سؤال عند الموت ولا في القبر، وبما أنه نطق بها فلماذا سيسأل من جديد؟ وتدل هذه الآية على أن النطق بالشهادة عند الموت تنفع فقط من طبقها بأركانها

السبعة.

ثالثاً: الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قالوا إن التثبيت يكون عند الموت وعن السؤال في القبر، وهذا كلام باطل .

١- لم يرد في الآية سوى الحياة الدنيا وحياة الآخرة، فأين حياة القبر، أم تقولون على الله ما لا تعلمون.

٢- إن الآية مرتبطة بما قبلها من الآيات وتفسيرها أن كل من آمن إيماناً حقيقياً وكان من أهل سمعنا وأطعنا يعينه الله تعالى ويثبته على الإيمان ولا تضره الفتن ولا الشهوات... تفسير الشعراوي.

٣- إذا كان هناك تثبيت عند الموت كما يدعون فما مصير من يموت موت الفجأة، إن الجلطة لا تعطيك فرصة حتى للتوبة ولا للنطق، أم تدعون أن من يموت بالجلطة فمصيره إلى النار ما هذا الافتراء؟

٤- إذا كان هناك تثبيت عند الموت فذلك يعني أن هناك سؤال للنطق بالشهادة عند النزع، وعلى رأيهم فإن من لا يثبته الله تعالى لا يستطيع النطق بالشهادة وهذا مناقض للقرآن الكريم، فقد نطق فرعون بالشهادة عند موته دون تثبيت من الله تعالى ولكنها لم تفده لأنه لم يطبقها في حياته، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠] فدليلهم باطل فلا تثبيت ولا سؤال سواء عند النزع أو في القبر.

رابعاً: الاحتجاج ببعض الأحاديث:

١- قولهم إن البخاري ومسلم خرجا حديثا صحيحاً «إنه ليفسح في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعاً، فأقول هذا قول لقتادة، والنص» قال قتادة فذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم القيامة – صحيح البخاري ١٢٢/٢، رقم ١٣٧٤ فتح الباري، فهذا قول لقتادة مردود سنداً ومتنا.

٢- حديث القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة " الترمذي، وقال غريب أما رواية الطبراني ففيها محمد بن سويد وهو ضعيف وقد ضعفه الحافظ أبو الحسن العراقي.

٣- حديث البراء بن عازب " يمد له في قبره مد البصر، فهو ضعيف في

سنده المنهال بن عمرو وهو مردود سنداً ومتنا كون الميت لا يبصر ومن ادعى أن الميت يبصر فإنه أعمى البصيرة.

٤- حديث السؤال في القبر ومنكر ونكير هذا باطل بدليل أن الحديث رواه الترمذي وقال عنه حسن وغريب أي شاذ وضعيف. افتراء الكذب بتسمية الملائكة بأسماء لم ينزل الله تعالى بها من سلطان منكر ونكير. حسب الحديث فإن السؤال للإنسان المسلم والكافر فأين سؤال الجن أليس القرآن لنا ولهم؟

بما أن الكافر مبتوت في أمره فلماذا سيسأل؟ ورد في الحديث أن من لا يستطيع الإجابة سيضرب بالمرزبة وهذا مناقض لكتاب الله تعالى حيث أعلمنا سبحانه وتعالى أنه لا عذاب بعد الموت إلا يوم القيامة وفقط في النار فمن أين أتى العذاب في القبر بالمرزبة والعقارب وغيرها من الخرافات.

حديث أن النبي (ﷺ) مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله (متفق عليه). في حالة صحة الحديث فإن اللام في (ليعذبان) تفيد المستقبل أي سيعذبان يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾[الهُمَزة:٤]فالحديث ليس بدليل على عذاب القبر علماً أن بعض الأحاديث نقلت حسب فهم ناقلها وليس بالنقل الحرفي كما نطق به الرسول (ﷺ) بالإضافة إلى ما أضيف على بعضها .

٦- إن الميت يسمع قرع نعالهم، هذا باطل ومناقض لقول تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٢٢﴾[فاطر: ٢٢]

٧- ما ورد عن أن النبي (ﷺ) كان يستعيذ من عذاب فهذا مناقض للاستعاذة التي وردت في القران الكريم ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١] وليس عذاب القبر.

خامساً : الاحتجاج بإجماع الأمة:

الاحتجاج لا يقبل إلا بدليل شرعي معتبر، ولا يكون إلا في حكم مسألة جديدة من الفروع، والحديث الذي يحتج به من أن النبي (ﷺ) قال: «أن الله لا يجمع أمتي على ضلالة إن هذا الحديث رغم ضعفه معناه أن الله تعالى لا يجمع

الأمة على الكفر، إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] من جزم بأن الأمة لا تجتمع على ضلالة حسب فهمهم للحديث فإنما يدعي أن الأمة معصومة والعياذ بالله، وهناك عشرات من الفرق والأحزاب فأي منهم الأمة؟ إن هذا الحديث ضعيف جداً قال الترمذي هو حديث غريب من هذا الوجه».

آيات قرآنية تنفي عذاب القبر

أولاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الدنيا دار تكليف وعمل والآخرة دار حساب فثواب أو عقاب وهذه الآية أكبر دليل على أنه لا سؤال ولا حساب ولا ثواب ولا عذاب في القبر فكيف يفتري الكذب على الله تعالى ويقال إن النتيجة تكون في القبر؟

ثانياً: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] الثواب والعقاب يوم القيامة وليس في القبر.

ثالثاً: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]، هذه الآية دليل على أن الإنسان سيسأل وسينبأ بما عمل يوم القيامة، وتنفي سؤال القبر والحساب والعذاب، وتثبت بالدليل القاطع أن الميت لا يعلم نتيجة أعماله في الدنيا ولا مصيره إلا يوم القيامة ومن قال أنه يرى نتيجة عمله في القبر فهو كاذب.

رابعاً : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وليس المرزبة ولا العقارب ولا القبر .

خامساً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢] الله سبحانه وتعالى يقول إنه سيؤخرهم وسيحاسبهم وسيعذبهم يوم القيامة وليس في القبر، ولا يقلب مفهوم الآية ويدّعي

أن الله يعذب الإنسان في قبره إلا من هو أعمى البصيرة، ما لكم كيف تحكمون؟ أَيْنَ العقول وأين تدبر القرآن؟.

سادساً: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) ﴾ [الزُّمَر: ٤٧] العذاب يوم القيامة والمصير لا يعلم به الإنسان إلا في ذلك اليوم ولو علم في القبر لما بدا له من الله تعالى يوم القيامة ما لم يكن يحتسب .

سابعاً: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) ﴾ [الإنسان: ١٠] يوم القيامة وليس في القبر أيام ولا عذاب .

ثامناً: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ [الفرقان: ٦٥]

تاسعاً: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ [الأنعام: ١٥]

عاشراً: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩١] وليس عذاب القبر.

الدعاء في القرآن أتى دائماً للاستعاذة من عذاب يوم القيامة والنجاة من النار ولنقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) ﴾ [الحج]

هذه الآية كغيرها من الآيات تنفي نفيا تاما أن هناك سؤالاً أو نعيماً أو عذابا في القبر وإنما الخزي في الحياة الدنيا وتهديد بالعذاب يوم القيامة في نار جهنم، والله سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد ليعذبهم دون سبب أو دون إقامة الحجة ونصب الموازين، ومن يقرأ الآية أعلاه ويصر على مخالفتها فإنه أعمى البصيرة، فلا حساب ولا عذاب ولا ثواب بعد الموت إلا يوم القيامة ومن ادعى غير ذلك فإنه يتهم الله تعالى بالظلم، الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً بعد

الموت إلا بعد الحساب وإقامة الحجة عليه، فكيف يتهم خالقه بأنه يعذب خلقه بعد الموت وقبل يوم القيامة في القبر دون أن يقيم عليهم الحجة .

لنفرض أن شخصاً ما يعذب في قبره قبل ألف سنة على ذنب ما، وآخر توفاه الله تعالى قبل يوم القيامة بشهر، ويعذب على نفس الذنب، فهل من عدل الله تعالى أن يعذبهما على نفس الذنب دون عدل في المدة، علماً أنه لا اجتهاد في العقيدة ولا أجر لمن يخطئ فيها، ويؤثم من يضلل الأمة بنشره خرافات تتعلق بالعقيدة، والله تعالى لم يترك العقيدة للشك، ولو تركت العقيدة للظنون لا نتفى اليقين وبذلك ينتفي الاعتقاد، فلا تكونوا ممن قال الله عنهم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ ومن عصم الأئمة أو شيخه عن الخطأ فإنه ينفي فضل الأنبياء على باقي البشر، ومن ادعى أن المؤلفات الدينية لا مجال للخطأ فيها فإنه انزلها منزلة القرآن الكريم، وعلى كل من يكفر خرافة عذاب القبر أن يستغفر الله تعالى ويعود إلى الحق، وكفانا نشرا لتلك الخرافة في الكتب وعلى المنابر والمواعظ وإضاعة وقت الناس وإضلالهم ونشر الفتن بينهم وتخويفهم بما لم ينزل الله به من سلطان، وهناك للأسف بعض ممن يدعون العلم يقولون (اترك الناس على حالهم ودعهم يخافوا من القبر ولنتحدث في أمور أهم، ونقول له: ألا يكفي تخويف الله تعالى لهم بالنار؟ أم أنك تعلم الله بماذا يخوف عباده؟ هل افتراء الكذب ونشر الخرافات أمر بسيط في الإسلام، هل اتهام الله تعالى بالظلم ليس بالأمر المهم؟ هل الكذب على الرسول (ﷺ) أمر بسيط؟.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ هذه الآية تنفى وتكذب كل ما نسب إلى الرسول (ﷺ) بأن هناك سؤالا وعذابا في القبر، ومن أصر على مخالفة الآية فإنه

يفترى ويشرع من عنده، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٦]

الرَّد على المقالة

نعم لنعيم القبر وعذاب القبر

الآيات والأحاديث:

تؤكد أنه: نعم، لنعيم القبر وعذاب القبر.

ما رغبت في يوم من الأيام الكتابة في هذا الموضوع، فإني أرى من ظروف الأرض المباركة والمسجد الأقصى ما يحبس علينا أنفاسنا، والخلاف في هذا الموضوع الغيبي لا يقدم لنا وسيلة ضد عدونا، ولكن ثمة ظرفان أحاطا بي وجعلاني أكتب:

أولهما: ما سمعته في أحد المساجد في خطبة الجمعة عن شرب الخمر، فإنه لجأ إلى تبشيع هذا الجرم بروايات عن حفار القبور وحراس القبور ومشاهداتهم، فالنار خرجت من قبر شارب الخمر، ووجد الحفار ثعابين تلدغ شارب الخمر... وما إلى ذلك.

وثانيهما: مقالة للأخ السيد محمد علي سعيد في صحيفة اللواء الأسبوعية (الأردنية) الصادرة يوم الأربعاء ٢٣ / ١/ ٢٠٠٢م لقد أنكر كاتب المقال عذاب القبر، ففهم بطريقته الخاصة أن القرآن ينفي عذاب القبر وأن بعض الأحاديث الشريفة التي ذكرت عذاب القبر لا تصلح لذلك ووصفها بقوله: باطلة شاذة غريبة، ولم يلتفت إلى بضعها الأخر، كأن العلم أن تقول ما يروق لك وتترك ما لا يروق لك؛ إن الاستهتار بعلماء الحديث وثوابت الأمة شيء مثير للريبة.

هذان الموقفان ألحا علي أن أكتب، إنهما موقفان متناقضان ولا يخدمان قضايانا الدينية في أي شيء، لقد كتبت تطهيراً للنفس لأن الوازع قوي، وحتى نحل مشكلةً وقعت تحت المغالاة.

وأستبق القول مبينا ما وقر في نفسي، إني من الذين يقولون بنعيم القبر وعذاب القبر، وقد انتشرت كلمة (عذاب القبر) أكثر من انتشار كلمة (نعيم القبر) لأن العذاب أوسع قياساً بأعداد الكافرين والمشركين والمنافقين في العالم بتلك القلة من المؤمنين الصالحين.

إني أرفض ما ذكره الخطيب سامحه الله من روايات تعذيب شارب الخمر التي أخذها من حراس القبور وحفار القبور، وأرفض ما رواه الذهبي في كتابه (الكبائر) والذي لم يغب عن خطيبنا وهو يخطب في يوم الجمعة لأن الدين لا يؤخذ إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأرفض ما قاله كاتب المقالة لأنه فسر الآيات القرآنية كما يروق له لا كما هو واضح من النصوص، وذهب بالنصوص إلى غير وجهتها وأخضعها لذوقه الخاص، وهذا بيان ذلك:

قال كاتب المقالة: (القرآن ينفي عذاب القبر)، وذكر عدة آيات وقال إنها جميعها تنفي عذاب القبر، وهذه الآيات هي: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان] و﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] و﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام] وغير ذلك كثير وقال كاتب المقالة بعد كل آية: الجنة هي المأوى وليس القبر، وعذاب يوم عظيم وليس عذاب القبر و... و... إلى آخر ذلك؛ وإني أعجب من قوله الجنة هي المأوى وليس القبر، فلا ضرورة لحشر كلمة القبر بعد هذه الآيات، فإن الآيات لليوم الآخر، ولكل آية مناسبتها، وهذه الآيات تصف الآخرة فلا تتعلق بشيء من الدنيا لا بالقبور ولا بالقتال ولا بالتجارة ولا بالطعام والشراب ولا بشيء من شؤون الدنيا، فلماذا تحشر هذه الآيات مع الدنيا؟ لا يجوز أن تفسر القرآن ونخضعه لفكرة سابقة موجودة لدينا، خذ الآيات كما وردت فقط.

لقد شهدت مجلساً للعزاء، فانبرى أحد الأخوة الحاضرين يذكر الناس بأن لقاءهم في اليوم الأخر وعسى أن يكونوا على خير، وهذا شيء طيب من ذلك الأخ، ولكنه اتجه فجأة إلى عذاب القبر، وذكر آيات تنفي عذاب القبر فيما يرى ، فتناول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج]. وقوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية] وقال: لو كان هناك عذاب في القبر قال تعالى: أحياكم – ثم يميتكم – ثم يعذبكم في القبور؟ ولكن الله تعالى لم يقل إذاً لا عذاب في القبر! هكذا بكل بساطة يفرض فكرته المسبقة، ويفسر وفقا لذوقه وهواه! ولقد تجاوز القائلون بهذا حدود اللياقة الأدبية مع الله تعالى؛ انظر ماذا قال علماؤنا من قبل في هذه الآيات الكريمة و ما شابهها، ولقد وردت لتحث على الأيمان والخوف من الله تعالى، فالله أحيانا وأحيى النبات وأماتنا

وأمات النبات ثم يحيينا كبشر لنحاسب، أي فكروا في هذا وآمنوا، وهذا قوله تعالى في سورة البقرة يدل على القصد من هذه الآيات ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، المقصود بالآيات أن تفكر وتؤمن فإحياؤك شيء عظيم وأماتتك كذلك، فآمِنْ بربك، إنها مظاهر من قدرته تعالى، ودلائل تقود من يفكر إلى معرفة الله، وليس لها أَيَّةُ علاقة بغير هذا المعنى.

الذي جعلني أذكر ذلك المجلس ما وقر في نفسي أن هناك فئة أخذت على عاتقها إنكار عذاب القبر أو نعيم القبر، فكأن الرد على كاتب المقالة ومتحدث المجلس رد واحد، وأكمل مسيرتي مع كاتب المقالة، لقد كان موقفه من الأحاديث الشريفة وطريقة معالجته لأفكارها مدعاة للإشفاق، فكلماته: هذا مردود وهذا ضعيف وهذا شاذ أو يجتهد ما استطاع ليجد ثغرة في الحديث وفق ما يتصور، المهم أن ينكر الحديث أو يلغيه وهذا مَثَلٌ ذكره وأقف عنده لنرى شيئاً عجباً: قال كاتب المقالة: حديث «أن النبي (ﷺ) مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى أنه كبير. أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» [متفق عليه] علق عليه بقوله: في حال صحة الحديث فإن اللام في (ليعذبان) تفيد المستقبل أي سيعذبان يوم القيامة! لا يا سيدي إن اللغة لا توافقك على فهمك.

كأنه يستثقل أن يقول ما قاله البخاري ومسلم وغيرهما من علماء الأمة: حديث صحيح فقال: في حال صحة الحديث فإنه يكون للمستقبل، استفاد ذلك من حرف اللام في (ليعذبان) شيء يدعو للإشفاق، إن هذه اللام لإفادة التوكيد وسماها النحويون اللام المزحلقة، وهي للتأكيد فقط، وإذا كنت لا تدرك هذه الأمور اللغوية فلماذا تورط نفسك، اقرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فالرسول حزين على أقولهم الجاحدة الآن وليس في المستقبل؟ تريد أن تفرض فكرتك على اللغة والمعنى، اترك اللغة وشأنها، ثم كيف تهمل ما ذكره البخاري عن القبرين، لقد قطع رسول الله (ﷺ) جريداً من النخل وقسم الجريد نصفين ووضع على كل قبر واحدة فقال الصحابة يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ فقال: «لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا» [البخاري الجنائز – ١٢٧٣] وقد اشتهر عن الشافعي دعاؤه الذي رواه في كتابه (المختصر):

اللهم اغفر سيئاته وأعذه من عذاب القبر: كلها تدل على ما يلاقيه الجاحدون في قبورهم ولكن المؤمن على خير إن شاء الله تعالى.

وإذا كان كاتب المقالة يرى أن بعض الأحاديث التي احتجوا بها ضعيفة، فليذكر عشرات الأحاديث التي في الكتب الصحيحة، فلماذا يكلف نفسه ببحث الضعيفة وهو يجد أحاديث صحيحة منقّاة من أي درن ورواها الثقات، ولهم علومهم المعتبرة، وقد جمعوها من أفواه الرواة، وكانت هذه الأحاديث هي القانون إلى جانب كتاب الله؛ كانت معرفتهم بها تطبيقية لأن الشرع هو الحاكم في العصر العباسي، لم ينقلوها من بين آثار الثقافة الغربية ولا من بين أقوال الفلاسفة المشوهة وأمثل لذلك بهذين الحديثين عن عذاب القبر أو عن نعيم القبر، ذكرهما من البخاري في صحيحه.

١- قال: «عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وأن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

٢- وقال: «عن عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر ومن عذاب القبر ومن فتنة النار ومن عذاب النار» وهناك وفرة كبيرة من هذه الأحاديث الصحيحة، فلنقصد إليها ونحترم علماءنا.

لقد تعوذ رسول الله ﷺ من فتنة القبر ومن عذاب القبر، وليس من شأننا تحديد كيفية العرض والسؤال إن هذا من الغيب ونحن لا نتجاوز ما ذكره النص، ذكر الحديثُ فتنةَ القبر وعذابَ القبر وفتنة النار وعذاب النار، فلا نزيد ولا ننقص، ولكنا ندعوه سبحانه أن يكرمنا برؤية مقعدنا في الجنة، آمين.

الأدلة القرآنية للعذاب والنعيم في القبر

الأوجه الأربعة:

هذا بحث مفصل لأنه يشمل عدة آيات من كتاب الله، وكلها تدور حول هذا الموضوع (عذاب القبر ونعيم القبر)، ولكن الآيات ليست بمستوى واحد في الوضوح والدلالة، فإن بعضها ذكر النعيم صراحة، وبعضها ذكر النعيم ضمن آيات تلمح لذلك تلميحاً فتحتاج هذه إلى شيء من الوعي، وشيء من الإحاطة ومناقشة الكلمات ثم أن عذاب القبر ذكر في بعض الآيات بوضوح بحيث لا ترتاب في رأيك بأن هذه الفئة المكذبة تعذب في قبورها، ولكن في آيات أخرى لا يأتي الأمر واضحاً، بل تحتاج إلى شيء من فهم العبارات والكلمات والتدقيق في معانيها لكي تستنتج أن هذه إشارة لعذاب القبر.

إذاً نحن أمام أربع سبل ذكرت في كتاب الله:

١- الوجه الأول (نعيم القبر) نصاً.

٢- الوجه الثاني (عذاب القبر) نصاً.

٣- نعيم القبر بالاستنتاج.

٤- عذاب القبر بالاستنتاج.

وأضع بين يدي القارئ الآيات ليرى الأهداف الأربعة التي ترمي إليها الآيات، وإني أثق بأن الله سبحانه جعل لكل إنسان طاقة عقلية وذوقية توصله إلى معرفة الأشياء العامة التي يشترك فيها الناس جميعا، ثم ميز بين هذا وذاك في أشياء التخصص، فجعل لكل إنسان ميلاً وذوقاً خاصا غير الذوق العام، والقبر يدخل في هذه الأِشياء العامة، لان لكل حياة حداً محدوداً، وكل منا يتأثر برهبة الموت ويطمع أن يكون ما بعد الموت خيراً له، ويخشى أن يكون ما بعده شراً عليه.

الوجه الأول – نعيم القبر

يبين الوجه الأول نعيم القبر : يبين أن القبر هو المرحلة الأولى من مراحل القيامة، وأنه ليس الذي تشاهدونه من حفرة صغيرة مبنية من بعض الحجارة والطين، ثم نواري فيها ذلك الإنسان الذي عمر بيته، وربى أبناءه، وكان له علاقة قوية أو ضعيفة مع الله جل وعلا أو علاقة سلسة أو معقدة مع جيرانه

وليس ذلك التفتت أو القطع الصغيرة التي توزعها أسماك البحر، ولا ذاك الذر الصغير الذي انتشر في الهواء عندما حرق الأهل جثة ولدهم ونثروها وذروها.

هذه أمور فوق العقل، وأمور الغيب كلها فوق العقل، ولكننا نتعامل معها في الحياة المعاصرة دون أن تثير دهشتنا لأنها أصبحت روتينية في حياتنا، إنك تقول هذا إنسان حي وهذا إنسان ميت، أين الروح التي في الحي وهي التي تجعل الإنسان يتحرك ويرى ويسمع ويفكر و.... و...، إنها فينا ولا ندري ما هي لماذا؟ أرادها الله أن تكون غيبا، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو القرآن الكريم: حروفه من حروف لغتنا وكلماته من كلمات لغتنا، وهذه الفكرة المحددة الواضحة ضمن سورة قصيرة من سورة القرآن مثل فكرة النص، تدركها وتحيط بها، كيف تحولت إلى إعجاز ؟ إنك أمام الغيب وإن شئت فاقرأ ما ورد في سورة الأنفال، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال]. ولم تكن الآية التي في سورة محمد بعيدة في مبناها ومعناها عن آية الأنفال قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧].

١- ورد في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: (١٦٩ ، ١٧٢)].

فكلمات الآية: يرزقون، تحسبن، ويستبشرون، والأجر، كلها كلمات عربية ذات معان واضحة، وفكرة الآية واضحة، إن فئة من المؤمنين قاتلت المشركين والكافرين، واستشهدت، ودفنهم أهلهم، ولكن الغيب أنهم أحياء عند ربهم، ونحن لا نعلم كيف يجري هذا الغيب، فلننظر إلى شرح الآيات وليس شرحها عسيراً على من عرف شيئاً من العربية أو على من أحب هذا الكتاب ودرس فيه بين

الفينة والفينة، ثم إن لغة الآية سهلة كأنها تقول لكل مؤمن: هذه آخرتك فكن مطمئناً.

المعنى: لا يجوز لمسلم أن يظن أن أولئك الذين قتلوا أو يقتلون في سبيل الله في كل زمان ومكان أمواتاً، إنهم ليسوا أمواتاً، إنهم أحياء عند ربهم يرزقون أي ييسر لهم طعامهم وشرابهم في الجنة، ولو أننا نراهم جثثا هامدة أو عظاما نخرة أو ذرات من تراب، إن ما نراه هو برزخ وقبر وتراب، ولكنهم عند الله فرحون مسرورون سعداء بما رزقهم الله به من فضل.

هذا هو المشهد الأول لحياة الشهداء، هذا ما أصابهم من خير، ولكن هناك مشهد آخر يتعلق بسائر المؤمنين ، وقد رآه الشهداء وأحبوا لو أبلغونا إياه، إنهم يستبشرون لنا، ويستبشرون بكل مؤمن لم يلحق بهم، ولماذا لم تقل الآية يستبشرون بكل مؤمن لحق بهم؟

لم تقل ذلك لأنهم يرونهم معهم في النعيم فلا حاجة للاستبشار بهم، وأما الذين لم يحلقوا يهم أي المؤمنون الأحياء فلم يدخلوا الجنة بعد، فقال هؤلاء الشهداء بعد أن رأوا منازل المؤمنين المعدة والمجهزة لإخوانهم قالوا: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولا تظن أيها الأخ القارئ إنهم يستبشرون بمن قُتل فقط، لأن الشهداء استبشروا بكل من لم يلحق بهم وليس كل الباقين سيستشهدون، ربما يستشهد بعضهم وربما لا يستشهد إن الشهداء قالوا: لكم نعمة من الله وفضل، لماذا؟ قالوا: ذلك أجر المؤمنين.

إذاً هذه آية للبشرى، الشهداء في الجنة أحياء ويرزقون، ولهم أفكارهم ومشاعرهم الكريمة تجاهنا لقد فرحوا إذ رأوا منازل المؤمنين ولله الحمد والمنة أنه أعلمنا بمستقبلنا، فالبرزخ الذي شاهدوه جنة، وبشرونا بألا نخاف ولا نحزن، وأنه ينتظرنا فضل ونعمة لأننا مؤمنون.

منازل الشهداء محددة بالضبط، ومنازل المؤمنين جاءت عامة وهي نعمة وفضل ونصح بألا تخاف ولا تحزن، إنها آية برزخ مطمئنة؛ قال عبد الرحمن بن أسلم كما ذكر ابن كثير عنه قال: «هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء أو غيرهم، وكلما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم».

٢- وفي سورة (يس) قال جل وعلا: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ

﴿أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: (٢٠، :٢٧)].

تحيط بالآيات أحيانا هالة من الروايات والأخبار، ولكن الذي يريد أن يلتزم بالحق لا يطمئن إلى روايتها وإشاعتها في الناس، لم يذكر القرآن اسم الرجل الساعي، ولم يذكر القرآن اسم القرية، ولم يذكر القران ما آل إليه حاله بعد أن جاهر بإعلان إسلامه، ولكن بعض الرواة والمفسرين يذكرون هذا كله، فالرجل اسمه حبيب النجار والقرية اسمها أنطاكية، ونهاية الرجل أن أهله لما شاهدوا إيمانه داسوه بأرجلهم قال الشوكاني: الرجل المؤمن هو حبيب بن موسى النجار، والمرسلون كانوا من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، بعثهم إلى أهل إنطاكية، ولما قال آمنت: وثبوا عليه، فقتلوه، وقيل وطئوه بأرجلهم، وقيل حرقوه وقيل نشروه بالمناشير. قال الشريف عبد الله بن علي الحازمي:

«دعا قومه لعبادة الله فقتلوه، ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس] فهو منعم بالحياة البرزخية» [١]

.

تلك هالة يستطيع القارئ أن يأخذ بها أو لا يأخذ بها، ولكن الحقيقة المدونة في كتاب الله هي: المؤمن برهن على صحة إيمانه وكان مهتماً جداً بذلك البيان، وبين أن الطريق السليم هو إتباع الرسل وليس إتباع طواغيت لا تغني شيئا عنه، انتهت مقابلته مع قومه وما الذي جرى بعد ذلك، ربما يكونون قد قتلوه، وربما يكون هذا اللقاء رمزاً للقاءات أخرى، قال سبحانه بلغوه بأنه يدخل الجنة، قيل له: ادخل الجنة، فرآها ورأى ما بها من كرامة، فقال: ياليت قومي يعلمون ما أنا فيه من المغفرة، والرحمة، والكرامة.

إذاً هو الآن في حياة البرزخ، وهي حياة نعيم وتكريم؟، وأما قومه فهم في الدنيا ومازلوا مصرين على الكفر، وأمنيته أن يعلم قومه ما سوف ينالونه لو أنهم

---

(١) دراسات عقدية في الحياة البرزخية / الشريف عبد الله بن علي الجارمي دار ابن حزم للطباعة والنشر / بيروت لبنان.

آمنوا، وهو يعلم الآن لأنه في الجنة أن قومه لم يكونوا جميعاً شهداء فليس من المفترض أن يستشهد كل مؤمن إنما الذي سيقع أن كل مؤمن سيكرم، وهل سيكرم بالجنة كاملة أم أنها ستكون أول منازل الجنة، فيشاهد من موقعه في برزخه تلك الجنة ويبشر بها، ويرى مقعده فيها، ويرى كرم الله تعالى بإنقاذه من النار، تلك رؤى، وقد تفسرها الأحاديث الشريفة التي سيكون لها دور مهم في شرحنا لحياة البرزخ.

ولقد قال عبد الله أبو جابر بن عبد الله أن والده طلب إلى الله تعالى أن يعلم قومه بما نال من كرامة، وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف الذي رواه جابر بن عبد الله، وقد ذكر هذا الحديث الشريف عدد من الرواة منهم الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي، أخذه رجال من الصحابة عن جابر وأعني أن الذين سمعوا جابراً كانوا عدة صحابة، قال جابر بن عبد الله: «لقيني رسول الله فقال يا جابر! مالي أراك منكراً؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً ودينا، فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال بلى: قال ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمة كفاحاً، وقال يا عبدي تمنَّ عَليَّ أعطك، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تعالى: سبق مني أنهم لا يرجعون، قال أي ربِّ أبلغ من ورائي، فأنزل الله هذه الآية».

وهي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس (٢٠، ٢٧)] تمنى هذا المؤمن أن يعلم قومه بما آل إليه حاله، وهذا يعني أن قومه في حياتهم العادية الرتيبة وأما هو ففي حياة البرزخ الكريمة المكرمة، لأننا في الآخرة يعرف بعضنا بعضا ويرى بضعنا بعضا، فلا حاجة عندئذ لقوله " يا ليت قومي يعلمون "

ومثل ذلك أو قريب منه قوله تعالى في تكريم هؤلاء الشهداء: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ [البقرة: ١٥٤]

٣- وهذه سورة فصلت تشتمل على ثلاث آيات، وفيها ثلاث بشريات للمؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بسبب هذا القول، وإليك هذه الآيات الثلاث: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فُصِّلَت: (٣٠، ٣٢)].

أ- البشرى الأولى: ألا تخافوا، إنه خائف من هذا المجهول الذي أمامه، ناس تقول له يوجد نعيم، وآخرون يقولون له: يوجد عذاب، فهذا أول لقاء له بعد موته أو عند موته، بالملائكة، يقولون له: لا تخف، كن مطمئنا، نحن رسل الله إليك لنطمئنك.

ب- وأما الثانية: لا تحزن على أبنائك وأموالك وأهلك، إنهم بيد الله ويكرمك الله تعالى فيهم، إنك في أحسن حال الآن فلا تذهب نفسك على شيء وراءك.

ج- وأما الثالثة: فهي العظمى والكبرى، أبشر بالجنة، فقد كتبت لك، ولقد وعدك إياها الرسل وأنت في دارك ووطنك وبين أهلك وصحبك، فهاهي تتحقق منذ اللحظة الأولى في حياة البرزخ، الواسعة اللطيفة للمؤمنين.

إنها ثلاث بشريات في هذه السورة المباركة ولا يجوز لنا أن نملي على كتاب الله تصوراتنا فنقول هنا أمران، أو أمر واحد، إن الآية تناولت ثلاثة أمور: تناولت خوف المؤمن، وحزن المؤمن، وبشرى الجنة، فإذا قال أحدهم خاف المؤمن من اليوم الأخر قلنا له: أين ذهبت «وأبشروا بالجنة» إذا خفت بعد البشارة فكأنك تقول للملائكة أنا لستُ مؤمنا، وهذا عجب عجاب، إنه تناول ثلاث بشريات دفعة واحدة، عدم الخوف من البرزخ، عدم الحزن لأن الله تعالى سيخلفك في أهلك ومالك وولدك، عدم القلق من النار لأنك من أهل الجنة،... ولله الحمد والمنة.

٤- آية التثبيت: وقد سميت هذه الآية بهذا الاسم إظهاراً لفضله تعالى على المؤمنين قال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال الشيخان البخاري ومسلم نقلاً عن البراء بن عازب: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد (ﷺ) فذلك قوله سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٧].

وشرح الآية بسيط وسهل، قال الشوكاني ومحمد سليمان الأشقر في هذه الآية [٢٧ من سورة إبراهيم] القول الثابت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وذلك في مساءلة القبر، وأما الظالمون فلا يقدرون على التكلم بها، المؤمن يقولها بلا تردد والضال يتلعثم ويتردد.

لم يذكر المفسران شيئا عن معاني كلمات الآية، إن المعاني تدل على أنها في القبور لأن قولهم في الآخرة نحن مؤمنون كذب إذ تنطق أيديهم وأرجلهم ضدهم، والمؤمن يتسلم كتابه بيمينه والكافر يتسلمه بشماله، هناك الفصل ولا حاجة للتثبيت، وسيق الذين اتقوا في الدنيا إلى الجنة وسبق الذين كفروا إلى النار، وأما في القبور فهي أعظم بشرى للمسلم إذ يتشبث فينطقها دون تردد والقبر أول منازل الآخرة ومن لم يثبت الشهادة فيها فقد علم أن حرارة جهنم بدأت تهب عليه.

الوجه الثاني: عذاب القبر

١- مثل آل فرعون، إنه موقف صريح، وتنبئ به آيات صريحة في العذاب، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾[غافر: (٤١، ٤٢)]

عرضت الآية أسلوب ذلك المؤمن في مخاطبة قومه، وهو أسلوب صريح ذو دلالة وحق، إنهم يدعونه للكفر بموسى ودعوته، فقال لهم: إن دعوتكم تخلو

من البرهان فليس لي علم بما تروجونه من شرك وكفر، ولكني أعلم بما أسمع وبما أشاهد وأرى أن الله حق وأننا سنرجع إليه، وأن الكاذب له النار، إن الله تعالى بصير بي كمؤمن وبكم كدعاة للكفر والشرك؛ فأرادوا به كيداً. وتقول بعض الكتب عن قصص الأنبياء أن الرجل فر إلى الجبال، وتبعه المشركون، يريدون قتله أو تسليمه إلى فرعون ليقتله، ولكنهم هلكوا، وهو لم يصب بأذى، إن هذه رواية في نجاته، ولكني أجزم بالنجاة لهذا الرجل المبدئي المناضل، إذ قال سبحانه: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ لقد حفظه الله، فهو مؤمن في بيئة سيئة جداً.

وحاق بآل فرعون سوء العذاب، لقد كان منظراً مرعباً لكل فرد من آل فرعون إذ يرى جبالاً من الموج تغرق العتاة والمتكبرين من قومه،؟ وييأس من النجاة ثم ماتوا، وحشر كل إنسان في موضع من الأرض خاص به، ورأى ناراً، وأحس بلهيبها، كل آل فرعون يرون النار ويحسون بها، كأنهم في صفوف والنار مشتعلة كبيرة كأنهم يجرون أمامها فينالهم المشهد مرتين، الأولى صباحاً مبكراً، والثانية المساء المختلط بشيء من العتمة، وهاتان الصفتان من صفات الدنيا أي الغدو والعشي، وانظر أيها القارئ ببصيرتك لا بما قيل أو روي أو حدث انظر إلى هذه الحركات: الضمة والفتحة والكسرة إلا وكان لها معنى معين، أي تؤدي ضمن جملتها أو عبارتها إلى معنى معين، قال سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [غافر: (٤٥، ٤٦)]، أرأيت حركة (سوء) أرأيت حركة الضم على (النار)، كلاهما مضموم، جاءت (النارُ) بالضمة، لأنها جاءت مفسرة لكلمة سوء العذاب فانتقل سوء العذاب بالماء إلى النار، وسبحانه كيف نقلهم بين هذين الحالين الشديدين، أو قل بين هذين الحالين المتناقضين عذاب بالماء وعذاب بالعرض على النار، يدوم ذلك ما دامت الحياة، ويوم تقوم الساعة وبدايتها الصعقة، يوم تسعر النار، ويوم تبدأ جهنم، يومها أدخلوا هؤلاء (آل فرعون) أشد العذاب، انتهى العرض غدوا وعشياً وجاء الجزاء، ولقد أنبأنا رسول الله (ﷺ) أن غمسة في النار تنسي صاحبها كل ما أصابه في الدنيا من عزة وكبرياء وغطرسة وسيطرة وجاه وتقدير واحترام يقال له: هل رأيت نعيماً فيقول: لا وقال البخاري في هذه المواقف: عن ابن عمر، قال النبي (ﷺ): إن أحدكم إذ مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.

٢- وأمثلة أخرى على جميع تلك الأقوام المكذبة كما كذب آل فرعون كان مصيرهم كمصير آل فرعون، وقد ورد في سورة الأنفال آيتان في عذاب آل فرعون وجميع القبائل أو الأقوام من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون، قال سبحانه: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ١١] .

وقال سبحانه: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال: ٥٤] فليس العذاب خاصا بقوم أو بلد أو قبيلة ولكنه يصيب كل جاحد فاسق كافر، فالذين كذبوا من آل عاد وآل ثمود وغير عاد وثمود أصابهم الهلاك، ولم تستطع أكاذيبهم بأنهم الأعظم وأنهم آلهة البشر بأن تنقذهم، أين هم؟

تعقيب وتعليق: ثمة تعقيبات على آيات بالعذاب، وكلما نضج التعليق قَدّره القارئ، وكلما اهتز واضطرب دل على أن الثقة غير موجودة في كلماته، وقد قرأت لأولئك الذين علقوا وعقبوا على تلك الآيات الواضحة المضيئة في اتجاهاتها فكانت التعليقات توحي بأن كاتبها لا يثق بها، تريد أن تنفي العذاب، وهذه أمامك آية عذاب، فادرس الآية وتوقف عند معانيها، وقل هذا خطأ بسبب كذا وكذا بحيث يكون السبب قويا في نفيه ويقبله العقل والمنطق.

١- للطوسي كتاب كبير في تفسير القرآن الكريم سماه (تفسير البيان)، قال في شرح آية آل فرعون ما يلي: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]

أ- قال: الآية فيها تقديم وتأخير، ولا يوجد أي سبب للتقديم والتأخير لأسباب نحوية ولا معنوية، فالسبب النحوي مثلا أن يكون المبتدأ نكرة فيؤخر ويقدم عليه الجار والمجرور مثل : لله ما في السموات وما في الأرض، أخر المبتدأ لأنه نكرة وهو الاسم الموصول (ما)، ومثل: إن لك في النهار سبحاً طويلاً، أخر المبتدأ (سبحاً) لأنه نكرة وقدم عليه الجار والمجرور، هذا شيء نحوي، وأما في الأشياء المعنوية فيقدمون الأهم في جملة ما على المهم، أين

الشيء الأهم في الجملة الذي يدور حوله الحديث بقدم وأين الأقل أهمية يؤخر، قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء:١٨] التائب هو هذا المحتضر الذي ظلم نفسه طوال حياته، ولكنه عند النزاع تذكر نفسه وإعراضه وسخافته، المهم هو هذا الإنسان فقدم مع أنه المفعول به وحقه التأخير؛ لا بد من سبب نحوي أو معنوي، لا يوجد في الآية سبب للتقديم والتأخير.

ب- ومن مظاهر التكلف قوله (تبدل جلودهم)، لم يقل سبحانه وتعالى هذه العبارة، فهل يبيح التكلف لأصحابه أن يتقوّلوا على الله؛ إن الجلود لا تبدل إلا في جهنم وفي آيات محددة أشارت لذلك، لكن عذاب آل فرعون لم تذكر فيه آية تبديل الجلود فكيف يبيح الطوسي لنفسه سامحه الله أن يضيف للآية شيئاً من عنده! نحن لا ندري ما هو أشد العذاب، فهذا شيء لم يذكر في الآية فليس لنا حق أن نضيفه من عند أنفسنا، القبر فيه عرض وليس تبديل جلود.

ج- كلمة الغدو والعشي إنما هي من مستلزمات الحياة الدنيا، ولكن في الآخرة يبدل كل شيء، ولم يذكر الغدو والعشي عن الآخرة في أي آية من كتاب الله.

د- لقد وجدت الكتاب الذي قرأت فيه كلمة (النار) محركة بالفتحة، لأنه بعد أن قدم وأخر ما شاء الله له أن يقدم ويؤخر اضطر أن يفتح كلمة (النار)، وهذا عمل غريب من مفسر لكتاب الله، فإن كلمة (النار) جاءت في القرآن مضمومة، لأنها تفسر كلمة وحاق بآل فرعون سوء العذاب، (فالنار) بدل منها؛ أي بدل من كلمة (سوء).

٢- تعليق للسيد عكاشة عبد المنان الطيبي:

وجدت للسيد عكاشة تعقيباً أخذه عن الرازي، وتعقيبا ارتآه هو، وأضع كلا التعقيبين أمام القارئ ليرى ما هذا الذي يقال وكيف يجعل التكلف القول شديداً على النفس يسعى وراء، فكرته فلا ينال منها شيئاً لأنها لم تبن على شيء، مع تقديري لكلا الشيخين السيد عكاشة والإمام الرازي جهداً ومشقة.

أ- الرازي: قال الأستاذ عكاشة قال الرازي في تفسيره ٣١٧/٧ قال: «الغرض من عرض النار عليهم غدواً وعشياً أي : عرض النصائح عليهم في الدنيا لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله وأعرضوا عن الذكر فقد عرضوا أنفسهم لتكبرهم

كلما ذكّروهم» [1]، هل هذا إبداع؟ هل هذا تفسير تستطيع أن تناقشه، هل كلمة النار انقلبت إلى نصائح وترغيب؟

ب- موقف السيد عكاشة: التقط قول الإمام الرازي وهو (أن هذه الآية تنفي عذاب القبر كما تنفي نعيم القبر وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦] ، فقال: «لو كان في القبر حياة فلا محالة أن يعقبها الموت، إذ لا خلاف في إحياء الحشر، فيكون قبل دخولهم الجنة موتتان لا موته واحدة وقال: «وأما الآيات التي احتج بها مقررو العذاب في القبر فهي آيات خبرية ومكية وغير صريحة بعذاب القبر وليست من قبيل المحكم فهي ليست قاطعة في معناها حتى يبنى عليها عقيدة» [2].

لا أدري ماذا قصد الأستاذ بأن الآيات خبرية؛ أو مكية، إن أكثر القرآن مكي وخبري، فهل نترك العمل بهذا الكثير، وماذا يقصد بقوله: ليست هذه الآيات المكية الخبرية من قبيل المحكم، إن الله سبحانه يصف الكتاب كله بقوله: «كتاب أحكمت آياته» إن المعاني المتشابهة قليلة جداً جداً، ولا أدري كيف أجاز لنفسه أن يقول: آيات غير صريحة بعذاب القبر؟ إن آيات فرعون غاية في الصراحة، ولكن أخي عكاشة لم يقل إنها قليلة، ولو قال ذلك لصدق، إن آيات عذاب القبر قليلة جداً سواء ما كان منها صريحا أو غير صريح، وهذا شيء تابع لحكمة الله، فالقرآن مملوء بآيات العظة والقصص النبوي وسير النبيين في شعوبهم، وطريقة بناء الأمة الإسلامية من اللبنة الأولى حتى الصرح الأعظم، هكذا يريد الله تعالى وما نحن إلا بعض عبيده، نعلم يقينا أنه يريدنا أن نكون أفراداً مثاليين وأمة مثالية، وقد أنزل من آيات كتابه ما يحقق هذا الغرض.

الوجه الثالث: نعيم البرزخ بالاستنتاج من الآيات

إن الآيات الكريمة التي أقدمها لكل من يهتم بالبرزخ في هذه الصفحة، وما يليها من صفحات تدل على نعيم البرزخ، إنها دلالة استنتاج وليست دلالة الصراحة، لذلك تحتاج لأن تفكر في طبيعة الآية وكلماتها، وتعمل رأيك وتتعامل مع الآية بدون فكر سابق لديك، أي لا تحرف الآية عن معناها بسبب فكرة سابقة عندك، لاحق لنا إلا أن نبحث الآية بعلمية وموضوعية؛ وربما

---

(١) عذاب القبر في الميزان للسيد / عكاشة عبد المنان الطيبي / ص ١١١.

(٢) عذاب القبر في الميزان ص ١١٠-١١٢.

تختلف معي في الرأي فأنت وشأنك، وربما تتفق فأقول لك: دع رأيك يصدر عن فهم جيد للكمات ومعانيها وعلاقتها بالآية التي هي فيها، وأقول: إن الأمر هين جداً وإليك الآيات لكريمة التي تدل على نعيم البرزخ.

أ- قال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

يفسر الإمام البخاري والإمام مسلم هذه الآية بالرواية كعادتهما، قالا، قال البراء بن عازب: قال النبي (ﷺ) ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ قال: نزلت نزلت في عذاب القبر، يقال له من ربك؟ فيقول ربي الله، ونبيي محمد (ﷺ) فذلك قوله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾[١].

وقد روى (البيهقي)[٢] هذا الحديث عن البراء بن عازب، وعن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن مجاهد، وكرر البيهقي الرواية عن ابن عباس عدة مرات.

وقال الصابوني في كتابه: يثبتهم الله على كلمة التوحيد في الدنيا وفي الآخرة عند سؤال الملكين في القبر كما في الحديث الشريف «المسلم إذا سئل في القبر شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ .

ذلك موقف المفسرين والرواة، فماذا نفهم نحن من هذه الآيات الآن؟ إن لنا لغةً، ولذلك نتساءل، إن الله سبحانه يثبت المؤمنين في هذه الحياة الدنيوية لأن الشياطين تملأ الأرض وتوسوس، وتحاول خلق البلبلة في النفوس، ولا تترك فرصة إلا وتنتهزها لتبعد المسلم عن طاعة ربه، وكل مسلم فينا يشعر بهذا العمل الشيطاني، إنه وهو قائم يصلي ينسى عدد الركعات أو يحل مشكلة في بيعه وشرائه أو في علاقته بيته أو صديقه لأحد فينا ينكر هذا الأثر وإنما يستعين بالله أن يخفف عنه أثر الشيطان، فالتثبيت في الدنيا حاجة ملحة للإنسان ضد الشيطان، وضد الناس الذين ينطقون بوسوسة الشياطين أو أكثر من وسوستهم أحياناً اللهم فثبتنا،

---

(١) عذاب القبر في الميزان ص ١١٠-١١٢.
(٢) عذاب القبر في الميزان ص ١١٠-١١٢.

نعود إلى لغتنا: عرفنا ما القول الثابت، وعرفنا أن التثبيت فيه حاجة ملحة، كل هذا في الدنيا، وأما الآخرة فإنك ترى فيها القيامة والجنة والنار والبعثرة من القبور وترى الجبال تزول والشمس تطفأ والسماء تشقق، فماذا تريد أن تثبت فيه؟ كل الأشياء الغيبية أمامك، ولا أباليس ولا شيطان ولا شيطنة، قال سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1] إذاً لا حاجة للتثبيت في الآخرة، ولكن يوجد في الآية هذه العبارة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ إذاً لا يوجد إلا المنازل الأولى من الآخرة، وهي منزلة البرزخ، والسؤال فالبرزخ أول منازل الآخرة، وصدق رواة الحديث، وصدق قائل الحديث «المسلم إذا سئل في القبر شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾»، وثبات المؤمن في القبر إشارة له أن ما بعد هذا السؤال إلا النعمة والخير والبركة والسرور ولكنها نعم لا نعرف مداها، وسيأتي ذكرها في صفحات تالية وفقا لما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة .

ب- الذين تتوفاهم الملائكة طيبين:

قال سبحانه تعالى في سورة النحل: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨].

الفعل المضارع تتوفاهم يفيد الوقت الحاضر، وقد يفيد المستقبل، ولكنه للحاضر أولى، ومن هنا لا بد لنا أن نأخذ بما اتفق عليه أهل اللغة والنحو، فنقول تتوفى: تأخذ الملائكة هذه الودائع إلى ربها، فتبشر هؤلاء المؤمنين بأنهم طيبون في خلقهم ونفوسهم وعقائدهم وأعمالهم، وما هي بشرى الإنسان الطيب؟ إنها طيبة مثلهم يقولون لهم: أي يقولون لهم عند أخذ هذه الودائع بألطف ما يكون وأحسن ما يكون: سلام عليكم – وهي تحية المؤمن للمؤمن- ادخلوا الجنة، لكن الجنة لم تقم بعد، ولا يوجد قيامة ولا أي إشارة عنها في هذه الآيات إنها تقوم أو قامت، إنما الذي يجري الآن هو نزع الروح وبشرى، وما زالت الناس في بيوتها، فكيف تقول الملائكة ادخلوا الجنة؟

إذاً، ادخلوا هذه المنزلة، وهي أولى منازل الجنة، أخبار عنها وبشرى من الملكين، ويصيبهم من الجنة رؤية مقعدهم فيها، وشيء من منظرها وروحها،

(١) عذاب القبر في الميزان ص ١١٠-١١٢.

هذا ما نراه في لغة الآية، ولكن الشيخ الدكتور الصابوني في كتابة صفوة التفاسير يروي ما قاله العلماء قبله في معاني الآية اللغوية، ونذكر في هذه المناسبة ما قاله عن الطبري: «هم الذين تقبض الملائكة أرواحهم وقد تطهروا من دنس الشرك والمعاصي طيبة نفوسهم بلقاء الله، يقولون لهم سلام عليكم، أي تسلم الملائكة عليهم وتبشرهم بالجنة، وقال ابن عباس: الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله ويخبرونهم أنهم من أصحاب اليمين» [1] ، ما أجمل هذا القول من الإمام الطبري وما أبدعه!

قال الشيخ محمد الحكمي: «ولابن أبي الدنيا وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام، ولابن المبارك والبيهقي عن محمد بن كعب: إذا استنفقت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت، فقال السلام عليك يا ولي لله، الله يقرأ عليك السلام».

ج- : قال سبحانه: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: (٨٨، ٩١)]. ماذا نستنتج من الآية: هنا إشارة إلى نعيم القبر أيضا، فمن ينتقل إلى البرزخ مؤمنا بشر بثلاث بشارات، أولاً له رَوْح، وكل شيء طيب أطلق عليه في الدنيا رَوْح، وكلمة رَوْح مرادفه لكلمة روح، أما بالروح فالحركة والتنفس والمعيشة وأما بالرَوْح فالطيب من كل شيء، والريحان كناية عن كل شيء ذي رائحة طيبة، وجنة النعيم تكون بما فيها من كل شيء من النعيم تكون يوم الدين؛ إذا للمقرب خيرات ثلاث، فمتى تكون؟ الروح والريحان في القبر، وجنة النعيم في الآخرة، إنها جميعاً في حياته البرزخية، أما الروح والريحان فكلاهما تحت الممارسة، ولا أعرف كيف تتم، إنها موجودة ولكنك لا تعلم حقيقتها، ونتوقف عند إيماننا أنها موجودة، وأما كيف فشيء يتبع علم الغيب، ولا ندري كيف تكون طبيعته، فإننا لا نتجاوز قدرنا فندعي كذا وكذا؛ إنا نقف عند النصوص، ولا نتجاوز هذه النصوص، وقال سبحانه عن أصحاب اليمين، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ إن أصحاب اليمين يلاقونه ويسلمون عليه فهو أقل درجة من المقربين ولكن السلام عليه بشرى، وهذه البشرى، تشمل البرزخ وما بعد البرزخ إني لستُ بدعاً من الناس في فهم هذه الآية فهناك عدة مفسرين ذهبوا لذلك فهذا الشيخ حسنين محمد مخلوف في تفسيره صفوة البيان يفهم

(١) صفوة التفاسير ج ٢ / ١٢٥.

ويذهب إلى ما ذهبت إليه، وإن وجد خلاف ما فهو خلاف يسير، قال الشيخ: «إن كان المتوفى من السابقين فله رحمة أو فرح وسرور واستراحة أو طيب رائحة عند قبض روحه وفي قبره وعند بعثه، وجنة نعيم في آخرته فسلام لك أي تقول الملائكة للمتوفى من أصحاب اليمين عند قبض روحه وفي قبره وفي الجنة سلام لك يا صاحب اليمن» وما ضربي به المثل إلا كإشارة إلى تداول هذا الرأي بين المفسرين ولأن الشيخ مخلوف كان مهتماً بشرح الآيات عن طريق لغوي.

الوجه الرابع : عذاب القبر بالاستنتاج من الآيات

لا نعتمد على التصورات والخيال في هذا الاستنتاج، أمامنا نصوص قرآنية، وهي نصوص عربية، ونستطيع أن ندرسها ونتوقف عند معانيها، فنستنتج أن هناك عذابا في القبر ويستمر مع استمرار البرزخ، وهذه قضية خطيرة جداً، ولا يستطيع أي إنسان أن يستهين بها مسلماً أو غير مسلم، وهذه النصوص إلهية، وما علينا إلا أن نفهمها فهماً صحيحاً، ونعلن رأينا في مسألة عذاب القبر، وهذه أمثلة على ذلك:

١- المعيشة الضنك- قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ربما يخطر ببال أحدنا أن المعيشة في الدنيا، لأننا نستعمل هذه الكلمة في حياتنا باستمرار، وهي تدل على كسبنا للعيش، ودخول الأمر في صحتنا وعافيتنا وسعادتنا في هذه الحياة أو شقوتنا فيها، إن هذا كله وارد إلى أذهاننا، إذاً من الطبيعي أن يقول منكر عذاب القبر: إن هذه الآية لحياتنا هذه، وربما يزيد عنه قولا رجل مؤمن غاية الإيمان يقول: نعم هذه هي المعيشة، ونحن نسمي الخبز عيشا لأنه أهم مواد المعيشة!

والآن نتفهم عبارة (أعرض عن ذكري)، وما حسابه؟ ليس كل جاحد أو كافر أو مشرك نشاهده الآن يعيش ضنكاً، إن كثيراً من الأوروبيين والأمريكيين والصينيين والهنود مِمَّن لا يؤمنون بالقرآن يعيشون حياة عادية، وإن معيشتهم أحياناً كأفراد أو جماعات أفضل من حياة المسلمين المادية، لقد سبقوا المسلمين في اقتناء السيارات والأدوات الطبية، والأدوية والألبسة المنوعة والتلفاز كأداة تسلية ورفاهية، إنهم منكرون ولكن معيشتهم ليست سيئة ولكن الآية الكريمة حسمت القول وحددت نوع معيشتهم فقالت: إنها ضنك؟ ولم تقل الآية إن المعيشة في الآخرة، لأن العبارة القرآنية التالية تقول: (ونحشره يوم القيامة أعمى)، فالمعيشة

الضنك قبل يوم القيامة لأنه يتساءل: يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً في الدنيا؟ لم يكن أعمى في الدنيا، ولم تكن معيشته ضنكا في الدنيا، ومن مميزات الآخرة أنه أعمى، إذاً أين المعيشة الضنك؟ إنها في البرزخ؛ ولكننا لا نعرف حدود هذه الحياة وسماتها، وإنما هي شاقة مؤلمة، لأن صاحبها أعرض عن الله فألزمه المعيشة الضنك.

إن منطوق الآية وتركيبها وسياقها يدل على هذا، وقد روى هذا الحديث عدد من أصحاب النبي (ﷺ) رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود والسدي، ورواه غير هؤلاء أيضا بلفظ مقارب.

قال أبو هريرة في روايته: «عن النبي ﷺ، فإن له معيشة ضنكاً، قال عذاب القبر» ورواه ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال سبحانه: (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك" أي عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة)[1] .

عند الوفاة

أ- قال رب ارجعون

- قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: (٩٩ :١٠٠] .

إذاً طلب ذلك الكافر العودة للدنيا ليغير نفسه وسلوكه، وممن طلب؟ طلب من الملائكة الذين يراهم ولا نراهم، فأجابوه بأمر الله وليس من تلقاء أنفسهم أجابوه بزجر وشدة: كلا، ثم ذكرت الآية حقيقة أبدية هي: إنها كلمة يقولها أي محتضر مثله لأنه يظن أنها تنجيه، وهي ظن خاطئ، وذكرت أن مقام هذا البرزخ إلى يوم يبعثون، ولعلنا نستفيد من كلمة (كلا) أنها للتهديد بما يرونه الآن.

وأقول: إنه ما طلب العودة إلا لأنه رأي أن شيئاً رهيباً ينتظره يراه هو ولا نراه، قال بن كثير: إن المشركين يسألون الرجعة عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار، ووقت الجحيم وغمراته.

ب- تشدّد الملائكة: وفي المناسبة ذاتها مناسبة الاحتضار يحدثنا سبحانه عن هؤلاء المشركين الذين يحتضرون، وعن شدة الملائكة معهم، قال سبحانه:

---

(١) إثبات عذاب القبر للبيهقي صفحة ٦٢.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣]

انظر لكلمة (باسطو أيديهم)، وانظر لعبارة (أخرجوا أنفسكم) وانظر لعبارة (اليوم تجزون عذاب الهون)؛ عبارات رهيبة تزجر بها الملائكة المشركين ساعة الاحتضار، كلها في ساعة الاحتضار، (بسطوا أيديهم) دلالة على تشددهم التشدد القوي الحق وليس التشدد المصطنع، وأمروهم أن يخرجوا أنفسهم، والمعنى سنخرج أرواحكم منكم وهم الذين كانوا يحرصون على الحياة، ثم اسمع ما يلاقونه اليوم، عن عذاب المذلة والاستكانة والاحتقار ينتظركم الآن فماذا تصنعون؟

ج- قال المحتضر: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ كلا لا تأخير، قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «من كان له مال يبلغه حج بيت الله أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت» فقال له رجل يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال سأتلو عليكم بذلك قرآنا " ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون: ١٠].

هذا الكلام لا يقال يوم القيامة لأن الناس جميعاً أمام الله، غنيهم وفقيرهم على صعيد واحد وانتهى موضوع الرزق، فلا تجارة ولا بيع ولا تعليم ولا تدريس ولا زراعة ولا حرث، فعلى من يتصدق والناس حفاة عراة غُرل؟ تحسبهم سكارى وما هم بسكارى وتضع كل ذات حمل حملها، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو!.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ [الأنفال: ٥١].

يصف حالة الوفاة ، فالملائكة الأشداء يضربون وجوه الذين كفروا، ويضربون أدبارهم، وهو موقف رهيب مرعب، ثم عطف على هذا الموقف، أي سيأتي بعد هذا الضرب وبعد هذه الشدة التذوق أي تذوق عذاب الحريق، وهذا التذوق هو عرضهم على النار غدوّاً وعشياً، لأنهم كذبوا رسول الله ﷺ، وكل من كذب رسول الله منذ وجود الرسل بين الناس، حتى خاتم النبيين فذاك مصيره، ولم تترك لي الآية مجالاً للتصور والتخيل، فقد قال سبحانه بعد كلمة (للعبيد)، قال: (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) إن مثل فرعون وآل فرعون بارز جداً في القرآن الكريم، لقد جاءهم العذاب في الدنيا، ويعرضون على النار منذ غرقهم غدواً وعشياً إلى أن تقوم الساعة، وعندها - أي عند قيام الساعة - لا يعرضون على النار بل يدخلون النار.

استعملت هذه الآية الشديدة حرف الشرط(لو)، وهو يفيد الامتناع وعدم الحدوث، يقولون: لو سافرت لرأيت، فلا هو سافر ولا هو رأى، ولما كانت رؤية هؤلاء الملائكة منعدمة، ورؤية تعذيبهم لمن حضره الموت من الكفار منعدمة استعملت الآية الحرف (لو)، أي: لو ترى أيها الإنسان المسلم أو الكافر الملائكة وهي تضرب وجوههم لرأيت شيئاً عظيماً جداً، لرأيت شيئاً مرعباً، وتقول الملائكة وهي تضرب: ذلك الضرب العنيف هذا كله بسبب تكذيبكم وبسبب إعراضكم، فهذا ما تستحقونه على أفعالكم، كما استحق آل فرعون قبلكم التعذيب بسبب أعمالهم؛ فما وقع مع آل فرعون يقع معكم الآن، فالكافر لا يستحق إلا كما استحق آل فرعون وكررت كلمة (كدأب آل فرعون) في الآيتين ٥٢- ٥٤، في نفس الموضع من سورة الأنفال لتدل على هذا التماثل في الشدة والعذاب في البرزخ، ويستمر إلى يوم يبعثون.

في القبور :

أ- في سورة القمر:

ليس عيباً على المسلم أن يفكر وهو يقرأ بل عليه عيب إن لم يفعل ذلك، وليس عيباً أن يستنتج شيئاً لم يقله غيره من قبل بل العيب أن يخاف من الاستنتاج.

أمامنا الآيات التالية من سورة القمر ، قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ [القمر: ١٩] ... وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨﴾[القمر: ٣٨]

ما المستمر في الآية ١٩، إما أن يكون اليوم هو المستمر، وإما أن يكون النحس هو المستمر كما في الآية ذاتها لأن كلمة مستمر صفة لليوم، وكلمة مستمر صفة للنحس، ويسمي العرب أو قل النحاة في نحوهم هذه الحالة التنازع أي كلمة واحدة تصلح لشيئين ، إن شئت قلت يوم مستمر، أي بدأ ويستمر معهم بصفات العذاب إلى ما شاء الله، وإن شئت قلت نحس مستمر، أي نحس لا ينقطع عنهم فهم في بلائهم ولا يفارقهم بلاؤهم أبداً، فلا اليوم ينتهي ولا النحس ينتهي ما هذا؟ جاء دور الاستنتاج إن مصيبتهم في قبورهم مستمرة إلى أن ينتهي الوجود كله ويبدل به وجود آخر.

وقد وجدت أن الشيخ الصابوني يميل إلى هذا الاستنتاج ولكنه يميل على استحياء، قال الصابوني: «جاءهم عذاب وقت الصبح دائم متصل بعذاب الآخرة»(١) وقال الصابوني أيضاً: قال أبو السعود «لا يفارقهم حتى يسلمهم إلى النار»(٢) وجاء في الآية الحادية والأربعين: "ولقد جاء آل فرعون النذر" كل هذه الأمم التي عذبت ذكرت كأمثلة وعبر لقريش، إذ جاء في آخر هذه الآيات توجيه قوي لقريش: «ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر»(٣) .

ب - في سورة السجدة : يقول جل وعلا: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٠].

حددت الآية المكان والزمان، وحددت طبيعة العذاب، ثم وصفت الآية التالية ذلك العذاب بأنه العذاب الأكبر، فالأصغر إذا أين يقع؟

قال سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة] قال الشوكاني، وقال الأشقر في بيان هذه العلاقة بين العذاب الأدنى والعذاب الأكبر قالا : " العذاب الأدنى هو عذاب الدنيا من مصائب وأسقام، وقيل القتل بالسيف يوم بدر ، والعذاب الأكبر هو عذاب الآخرة " أرأيت أن هناك عبارات لم يتعرض لها المفسّران على مالهما من باع طويل وقدرة مشهودة، ولكن الذي يقوم بتفسير أكثر من ست آلاف آية لا

---

(١) صفوة التفاسير ج٢ / ص ٤٤
(٢) سورة القمر ٥١
(٣) تفسير القرآن لأبي السعود ص ١٢٠

يستطيع أن يركز ذهنه كمن يفسر آية أو آيتين أو بضع آيات، لقد أهملت الكلمتان (مِنْ ، ودون)، أما الحرف (مِنْ) فهو مؤثر جداًً في فهم الآية، الحرف (من) يعني التبعيض أي بعض الشيء وليس كله، فالعذاب الأدنى نوعان: أولهما عذاب القتل والأسر والضغط وأخذ المال بالقوة والقلق والشعور بالهزيمة. والثاني هو عذاب القبر، وقد أعطاني الحرف (من) هذا الفهم، بل فرض علينا الحرف (من) هذا الفهم، سوف يذوق الكفار والمشركون والفاسقون جزءاً من العذاب الأدنى، والجزء الآخر يكون في قبورهم، وتعني كلمة (دون) ما هو قبل ذلك، وتعني أقل من ذلك، وتعني تحت، وأظن أن الذي يحاول تطبيق كل هذه المعاني في كلمة (دون) أظنه يستطيع ذلك، وليس ذلك خطأ أو بعيداً عن الحقيقة، فعذاب الآخرة هو الأشد وإذا حل بالإنسان فليس له منه مناص.

إذاً سيذوق الخارجون عن أمر الله شيئاًً من عذاب الدنيا حتى يحسوا بالشدة فيضعفوا ويتراجعوا، ويعودوا إلى ربهم، وإن لم يفعلوا فإنه ينتظرهم عذاب في القبر وعذاب في النار.

إن هذا الفهم يتطابق مع قول الرسول الله (ﷺ) في بيان عذاب الفسقة في قبورهم "يفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها"، لم يقل: يفتح حرها وسمومها أي الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثر؛ لأن حرف (من) يفيد البعضية أي التبعيض، فهو جزء من كل وليس كل الشيء.

جـ- التوبــة:

قال جل وعلا: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١] هنا بيان لعذاب المشركين أو قل لعذاب المنافقين، وقد لاحظت في كلمة المنافقين أنها تعني الكافرين الذين يسترون كفرهم ويسترون نواياهم وأهدافهم بعبارات منمقة ومدبلجة، وقد استطاعوا إخفاء أمرهم عن الرسول، واستطاعوا أن يخفوا حقيقتهم عن المؤمنين، ولكن الله سبحانه جلت قدرته عالم بحقيقتهم، فتوعدهم بثلاث عقوبات هي:

عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، وهذا معنى سنعذبهم مرتين أي مرتين في الدنيا ولكن الآخرة أشد من الدنيا، فقال سبحانه: «ثم يردون إلى عذاب عظيم»، فهذه ثلاث عقوبات، الأولى في الدنيا وما فيها من مذلة وانكشاف أمر ومصائب في الأنفس والأموال والأولاد، والثانية في

قبورهم حيث لا يطلع على ذلك العذاب إلا الله تعالى ومن ارتضى من رسول، والثالثة وهي قذفهم في النار، وما فيها من شرر كالقصر، وثياب من نار، وقطران مذاب من النحاس وعمد ممددة، لا هي حياة ولا هي موت، وتبديل جلود كلما نضجت، وقد قال سبحانه في وصف هذا المأوى: «ثم يردون إلى عذاب عظيم».

لا أستطيع أن أجد غير هذا، إن دراسة بضع آيات وتأملها والإحاطة بها يختلف عن تفسير آلاف الآيات وآلاف المواقف والمعاني، ولله الحمد والمنة، ولكنني لا أهمل بعض أقوال المفكرين العلماء في هذا الشأن، قال الشريف بن عبد الله بن علي الحازمي: «قال ابن عباس: العذاب الأول في الدنيا بكشف نفاقهم أو إقامة الحدود عليهم، والعذاب الثاني في القبر. وقال مجاهد: العذاب الأول الجوع والعذاب الثاني القبر، وقال مقاتل بن سليمان: العذاب الأول عند الموت والملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم والثاني في القبر وقال قتادة العذاب الأول علل وأدواء في الدنيا والعذاب الثاني عذاب القبر».

ويوجد آيات يستطيع من يثق بدينه ونفسه أن يدرس ويستنتج لقد ورد هذا الأمر في آيات وترك للمؤمن المجال ليبحث في عجائب هذا القرآن وأهدافه.

الأحاديث والحياة البرزخية

١- هي الركن الثاني بعد القرآن، لو قال أحدهم: هذا القرآن وكفى به علماً نافعاًُ نأخذ به ما حرم وما أحل، ولو قال أنه معجزة الله في الأرض، وهو العروة الوثقى للمسلمين أينما كانوا فهو منهجنا ونجري وفق نصوصه وليس لنا من حاجة للحديث لو قال أحد ذلك لانطبق عليه قول الرسول (ﷺ): "ليوشك بالرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا من حرام حرمناه، ثم قال: ألا وإن ما حرم رسول الله هو مثل ما حرم الله".

لا يكتمل هذا الدين إلا بالإيمان بطرفيه، القرآن والسنة، إن هذا وصف من الرسول ﷺ لرجل متعاظم لا يعترف بكلام سيد البشر ﷺ.

وليست الحياة البرزخية إلا مثل باقي مكونات العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية، فالعقيدة تقوم على الإيمان بالملائكة مثلاًُ، ولكنك لا تجد في القرآن إلا شيئاً يسيراً عن الملائكة ونرى في الحديث نزول جبريل على الرسول ﷺ بهيئة رجل، ومرة يُغمى على الرسول لثقل نزول جبريل ومرة يصف الرسول جبريل بأنه مثل دحية الكلبي ومرة يراه الرسول على حقيقته فيعود إلى بيته خائفاً يرتجف ويقول: «دثروني دثروني زملوني زملوني»، كلا المصدرين من الله تعالى وكلاهما يجب الإيمان بالله قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الأحزاب] فالحكمة هي أحاديث الرسول، وتجد في الحج آيات قليلة، ولا نستطيع منها أن نلم بالحج، كيف نسعى بين الصفا والمروة، كيف نطوف وماذا نقول في الطواف، متى نقول لبيك عمرة وحجاً، وما هي التلبية وما مفرداتها، وكيف نفعل في هذه المصطلحات : الهدي في القرآن بين الحج والعمرة، وما يجتنب المحرم من اللباس، ما يقتل المحرم من الدواب، غسل المحرم رأسه، الفدية على المحرم، الرمى في الطواف والسعي، استلام الركنين، الطواف سبعاً، إن هناك النسك الكثيرة التي نقوم بها متمسكين بالهدي النبوي، فكيف نستطيع أن نتمسك بالنسك إذا لم نتمسك بأفعال النبي (ﷺ) وأقواله، وقد نقل ذلك كله إلينا الصحابة والتابعون والرواة ثم المؤلفون الذي كانوا رواة وجمعوا عن المعاصرين،

وجمعوا عن أتباع التابعين، في سلاسل من الرواة محققة ومؤكدة، وفي صورة نادرة من نقل الحقائق بالأخذ عن فلان وفلان إلى أن يصل الرواي إلى النبي (ﷺ) ووجد المؤلفون مثل مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم مشقات هائلة وهم يسمعون للناس، فإن شكوا تركوا.

٢- الأحاديث والبرزخ:

وفي أحاديث البرزخ كذلك، يوجد آيات فيها إشارات واضحة عن البرزخ نعيمه وعذابه، فيه حياة لا ندري كيف تجري، هل هي جزئية؟ هل هي كلية؟ هل هي بالروح والجسد أم بالروح فقط؟، لا ندري كيف تكون طبيعة تلك الحياة، ولذلك نتوقف عند نص الحديث.

لم يخلُ أي كتاب في الأحاديث الشريفة من ذكر البرزخ، ولذلك ننظر لهذه الكتب التي ضمت الأحاديث، فالبخاري ذكر عدداً وكذلك الأمام مسلم ثُمَّ الترمذي والبيهقي وغير هؤلاء، وتجد الحديث الواحد رواه عدد من الصحابة وهذا شيء واسع الانتشار، فالحديث «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» روته عائشة، ورواه أبو هريرة، هذا في صحيح مسلم وانظر لصحيح البخاري تجد رواة آخرين، وانظر لسنن أبي داود تجده مرفوعا لآخرين، حتى في الكتاب الواحد من هذه الكتب تجد الحديث مروياً أحياناً لاثنين أو أكثر. لم يكن الرسول (ﷺ) يقول الحديث لشخص واحد اختصاصاً، بل كان يحدث به وفقا للمناسبات، والكتب المشهورة في الأحاديث تذكر رواة متعددين، إن هذا يحقق تواتر الحديث؟، وأما إذا تعلق الحديث بالعمل فإنك تجد التواتر قائماً بالتطبيق العملي للحديث، مثلاً التعوذ من عذاب القبر والناس في ذلك الموقف المهيب فوق القبور، تجد هذا التعوذ في مختلف كتب الحديث، إن أخبار البرزخ مماثلة تماماً لأخبار الحج وأخبار الصيام وأخبار الصلاة وأخبار الأحكام الشرعية كلها، إنها مجملة في كتاب الله مفصلة في كتب الحديث الشريف، والذين أنكروا عذاب القبر أو نعيم القبر أو حياة البرزخ احتاجوا إلى كثير من التأويل واحتاجوا إلى كثير من التدبير والتخيل، وقد مر بنا تلك المقالة التي كتبها أحدهم في الصحف كيف أوَّلَ ورفض معاني محددة واضحة لأنها تخالف ذوقه كما يرفض أسعار الخضر والفاكهة؛ وكيف حمل القرآن على غير وجهه لقد استدل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات] كما استدل بكل آية توضح أنه تعالى سينبئنا بأعمالنا يوم القيامة ويجازينا عليها أنها تنفى عذاب القبر!، إنه ليس من المفترض أن يذكر القرآن

في كل آية من آيات الآخرة حياة البرزخ، لكل آية خصوصيتها وسياقها، ويستنتج هو وأمثاله القاعدة التالية: لا سؤال ولا حساب ولا ثواب ولا عذاب في القبر، لقد نسوا ما ذكر في كتاب الله عن الشهداء وعن المجاهدين ونسوا ما ذكر عن آل فرعون، ونسوا مئات الأحاديث عن حياة البرزخ وضربوا أمثلة بأحاديث ضعيفة، إن الذين رووا تلك الأحاديث هم الذين قالوا ضعيفة أو شاذة أو غريبة، ولكنهم لم يقولوا في الغالبية العظمى من الأحاديث أنها ضعيفة أو موضوعة بل قالوا: قال رسول الله (ﷺ) وهو يتعوذ من عذاب القبر: قالت عائشة كان النبي (ﷺ) يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر ومن عذاب القبر ومن فتنة النار ومن عذاب النار": هذا ما قاله شيوخ الأمة في رواية الحديث، ولم يخلُ أي كتاب من الأحاديث عن باب أو كتاب أو جزء أو فصل عن الجنائز وحياة البرزخ، لا يجوز أن تجعل خوفنا من عذاب القبر أو تهيبنا من ذلك الموقف الرهيب سبباً في إنكار الأحاديث الشريفة عن حياة البرزخ. وإني لأظن أن هناك فئة فرطت في وصف عذاب القبر ونسبت الوصف لحفاري القبور أو للموظفين في المقابر، هذا ليس علماً ولا يجوز أن نستند إليه، فالعلم الحق ما جاءك من الحق، أو جاءك من رسول الحق، إن حياة البرزخ غيب، وعلينا أن نعرف أو الأحاديث التي تعلقت بالغيب، علينا أن نعلم مسار كل آية من الآيات التي تتعلق بالبرزخ هل هي للبرزخ أو ما حوله، نقف عندها ونفسرها، ونعلم من ذلك أن الحياة التي ارتبطنا بها الآن قد وضح سبحانه جميع مكوّناتها حتى نتعامل مع كل هذه المفردات فنعرف كيف نعيش، وأما في الآخرة أي المأوى الدائم فقد أعطانا سبحانه صورة تقريبية تدل على أننا سنلاقي هناك حياة غير هذه الحياة، هناك لا تأكل من جوع بل تأكل تلذذاً، هناك لا تشرب من عطش لأنك كمؤمن لن تعطش بل تشرب تمتعاً بالشراب، هناك شباب دائم، لن تحتاج إلى أسبرين ونوفالجين وبنسلين وليزيكس وإبر مخدرة وإنسولين ومسكنات وأشعة كوبلت وقطع أجزاء من جسمك بعد أن تلفت تلك الأجزاء إذاً كيف سنعيش؟ بالضبط لا ندري! عرفنا شيئاً قليلاً وغابت عنا أشياء لا تعد ولا تحصى.

لو قال سبحانه على سبيل الافتراض: سأخلق من هذه الحجارة والتربة والماء الجاري مخلوقا يسير أينما يريد، وإذا تكلم أحدكم عن بعد سمعه، وإذا أراد التكلم تحرك له وتران في حلقه فصنعا كلاماً كثيراً لا تستطيعون أن تحصوه، وإذا رفع رأسه رأى عن بعد أشياء كثيرة وسأضع في هذا المخلوق سائلا أحمر اللون يجري في مجارٍ ممتازة تجدد نفسها مع الزمن، و... و... لقالوا يا رب نصدق ولا نعلم ولا نتصور شيئا ممتازاً مثل هذا، ونحن نقول

أيضاً لا نعلم كيف تجري تلك الحياة، وهكذا نحن في البرزخ، إنه غيب، إنه غيب، لم يأت أحد ليحدثنا عمّا وجد في ذلك البرزخ، إنّ المحتضر الذي نحبه ونريده ألا يفارق بدأت عليه ملامح مفارقة الدنيا ولا نستطيع أن نقدم له شيئاً، كان والدي مريضاً متكئاً على وسادة خلفه لتريحه، فمال جسمه على الفراش دفعة واحدة، لقد توقفت عضلاته التي كانت تسنده وصار يفتح فمه فتحة صغيرة ويغلقه كالفرخ الذي حضره الموت وتخبرنا الآيات الكريمة أن الملائكة موجودون يرحبون بالمؤمن، يقولون له سلام عليك ويطيبون له لقاء الله، وأدعو الله تعالى أن يكون والدي من هذه الفئة المؤمنة، ولكنك تجد في موقف آخر إنساناً يختنق من الشدة والملائكة تحيط به وتبسط أيديها إليه وتنهر وتزجر: أخرج نفسك إلينا، وتضربه على وجهه وأدباره، وتهدده بمستقبل سيئ ينتظره، إننا لم نشاهد مخلوقين مرسلين لأخذ أرواحنا ، وكل منا ستؤخذ روحه، وبين الله تعالى في كتابه العزيز أسلوب قبض الروح، ولكننا لا نعرف حقيقة ذلك بالضبط، لدينا معرفة محدودة وهي المعرفة التي سمح القرآن الكريم بالإحاطة بها.

لا أريد أن أجلب سأما إلى نفسية القارئ، إن الذي يتكلم عن أشيائه الخاصة يسبب لقارئ تلك الأفكار تبرماً وتضجراً، ولكنها أشياء محدودة تسمح لقارئها أن يدرك أنه سبحانه يرسل مؤشرات بسيطة جداً لتعيش بين الناس تذكيراً وتنبيهاً للقلوب، لقد أقمت بالكويت معلماً، أكثر من ٣٠ سنة، وقد مرض والدي مرات ومرات، ولم يطلب إلي زيارته إلا مرة واحدة، وهي المرة التي شعر فيها أن أجله قد انتهى فزرته مودعاً، ما الذي جعله يشعر أن هذه المرضة هي الأخيرة في حياته؟ كيف شعر أنه يجب أن يرى أولاده ليودعهم الوداع الأخير؟ وأرجو الله تعالى أن يجمعني به في الجنة .

وليأذن القارئ لي في حديثي عن صديقين بقية هذه الصفحة، حديثان يلحان علي الإلحاح كله لما لهما من أثر نفسي في نفسي، الحديث الأول للدكتور كامل عيسى دودين، لقد حضر ساعة وفاة والده وقال بتأثر: كان والدي يوصيني بمواصلة التعليم وقد أصبح التعليم في حياة الأسرة الفلسطينية مكونا من مكوناتها، كان يوصيني وينظر لساعته الأسطوانية القديمة ويقول بقي ساعتان، بقي ساعة ونصف، بقي ساعة، بقي نصف ساعة، لقد قربت، وقال في آخر نظرة، انتهى الوقت، ووضع الساعة محلها في جيبه ومات.

كان والده رئيسا لبلدية الخليل، وكان مصلحاً فيما أعلم بين قبائل المنطقة، رحمه الله. الثاني من بديا قرية في الضفة الغربية قرب نابلس، عم لصديقي المدرس فؤاد طه، يقول لمن حوله: آسف على تعبكم، آسف على إثقالي عليكم،

هذه آخر مرة أدهب فيها للحمام ساعدوني في الوصول إليه، قضى حاجته ورجع إلى سريره ومات؛ ذكروا أنه رجل خدوم وطيب النفس.

من أدراه بساعة الوفاة ومن أعلمه بآخر ذهاب للحمام ليس كل الناس يحصل معها ذلك، ولكنه سبحانه يعطي العبر ليعتبر عباده، فينجون بأنفسهم، والله سبحانه هو القائل "ما يفعل الله بعذابكم".

إن الصفات التالية ستقوم على أحاديث الرسول الله ﷺ فقد أعطاه سبحانه شيئاً من علم الغيب بالبرزخ، إنه سبحانه لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

هناك حياة في البرزخ:

الأفكار الآتية تدور حول مبدأ واحد، أو محور واحد هو (هناك حياة في البرزخ)، وهذه الحياة لها طبيعة معينة، ذكرتها الأحاديث الصحيحة الواضحة ذات المعاني المحدود، ولم يغب هذا الموضوع عن أي كتاب من كتب الأحاديث الشريفة، وإليك أيها المسلم، وإليك أيها الأخ الذي لم ينعم بالإسلام حتى الآن، إلى كل إنسان في الأرض نقدم هذه الأحاديث النبوية التي رواها كبار شيوخ العلم ووثقوها وشهدوا لمتنها وسندها بالصحة والصواب:

١- موسى وملك الموت:

هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم وصفته أنه حديث صحيح ومتفق عليه بينهما: قال رسول الله (ﷺ): «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد الله عينه، وقال ارجع إليه وقل له يضع يده على متن جلد ثور، فله بما غطت يده بكل شعره منه سنة، قال أي رب ثم مه؟ قال ثم الموت، قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

ملاحظة للقرطبي: لماذا لطمه؟ أجاب: إنه لم يعرفه وظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه فلطمه وفقأ عينه؛ كان موسى يعرف أنه لا يقبض

حتى يخيَّر، فلما جاءه ملك الموت لم يخيره وكان بصورة رجل فلطمه وعندما عاد مرة أخرى وخيره استسلم واختار الموت- والله اعلم[1].

ولدي سبب في ذكر حادثة موسى عليه السلام وملك الموت، أريد أن أبين أنه جابه أمراً شديداً على النفس مع أنه نبيّ فكيف يجابه هذا الأمر الناس العاديون الذين يتعلقون بشؤون الحياة ورفاهها ونعيمها؟ كيف يتقبلون انتهاء وسائل النعيم جميع وسائل النعيم النفسية والجسمية والاجتماعية وآلات الراحة والاستجمام، إنه أمر مهم جداً، ونستطيع أن نضرب مثلاً لذلك بموقف موسى عليه السلام، وموقف آدم عليه السلام، أمره تعالى ألا يقرب تلك الشجرة قال سبحانه وتعالى: (ولا تقربا تلكما الشجرة) ولكن إغراء الشيطان بالخلود إن أكلا منها وقاسمهما أنه ناصح لهما، فالخلود ببريقه وجماله ونضارته والمقاسمة من مخلوق معهما، جعلا آدم يعصي، يريد آدم ألا يموت أبداً، ولم يكن ما روي عن سيدنا إبراهيم عليه السلام بعيداً قال الشعراني: «جاء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه فقال إبراهيم الملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت إلى ربه جل وعلا فقال: قل له أرأيت خليلاً يكره لقاء خليله فرجع إلى إبراهيم فقال: فاقبض روحي الآن»[2] .

هذا السبب يحثك دائماً أن تلاقي الله وأنت على خير وتجتهد كثيراً وتبذل كثيراً لتدفن وأنت قريب من الله وليس معرضا عنه؛ والتوفيق بيده سبحانه.

٢- سؤال الملكَين :

ما أكثر الروايات والأحاديث الشريفة التي تناولت سؤال الملكين في القبر، وهذا له دلالة قوية واضحة على تساؤل المسلمين واهتمامهم بما يحدث في القبور، فهم يسألون عند تشييع الجنائز، وعند لقاء العزاء وعند التطرق للموت وطرق الموت، وليس هناك راو واحد بل رواة متعددون، وكلٌ سمع عن رسول الله ﷺ ونقل الحديث لآخرين وهذه أمثلة عن تساؤلاتهم وما يهتمون به وعن إجابات الرسول وتقديره لما في صدروهم.

أ – قال أنس بن مالك، قال رسول الله: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال : فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به

---

(١) الصحيح من التذكرة للسيد مجدي فتحي حسن / ص ٨٤

(٢) مختصر التذكرة للشعراني – تحقيق د. عبد الرحمن البر دار اليقين للنشر ط١ عانم ٢٠٠١ ش عبد السلام عارف المنصورة – مصر.

مقعداً من الجنة قال نبي الله فيراهما جميعاً»[١] ، ورواه البخاري مفصلاً فقال: قال رسول الله ﷺ وأما الكافر فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له: لا دريت، ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيسمعها مَنْ عليها إلا الثقلين.

ب- قال البراء بن عازب: جلسنا حول القبر كأنما على رؤوسنا الطير، فنكث النبي بالعود، وقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا، قال: «إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا ولوا مدبرين، حين يقال له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول : ربي الله فيقولان ما دينك فيقول: ديني الإسلام فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم قال فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ قال: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، وقال: ويفسح له من بصره، وقال عن الكافر: تعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان: ما هذا الرسول الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري قال: فينادي منادٍ أن كذب عبدي فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه».

ملاحظة: عادت روح المؤمن، وعادت روح الكافر، وبدأ كلّ يعيش في قبره كما أراد له الله وكما قدر له، كيف يكون ذلك؟ لا ندري.

ج- مع موطأ مالك: قال الإمام مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر أنه قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[٢] .

وقد روى البخاري ومسلم بالمعنى السابق وبالصياغة السابقة الحديث السابق، لقد رواه كلاهما في كتاب الجنائز.

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١ / ١٣٢

(٢) عذاب القبر ونعيمه للقرطبي / دار الغد الجديد/ المنصورة / مصر ط١/ ٢٠٠٢م.

٣ - **في بيت أبي سلمة:**

قال الشعراني عن أم سلمة دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شُق بصره فأغمضه النبي ﷺ ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله»، فقال النبي: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهتدين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه»(١) .

ملاحظة: لماذا يفسح له في قبره إذا كان تراباً قد انتهى، ولكن يحتاج لفسح قبره لأنه أعيدت إليه الروح، ولماذا يحتاج إلى النور وهولا يحس به، إن الروح أرجعت إليه فأصبح النور يفيده.

٤- حديث **عائشة في أمر اليهودية** والدجال وعذاب القبر، قالت: «جاءت يهودية استطعمت على بابي فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدّجال ومن فتنة عذاب القبر» فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن ذلك فقال عن القبر: «فأما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشغوف ثم يقال له: ما كنت تقول في الإسلام، ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله جاء بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له انظر إلى ما وقاك الله، ثم تفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له هذا مقعدك، على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، فإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعا مشغوفا فيقال له: فما كنت تقول؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجه قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، ويقال له هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مُت وعليه تُبعث إن شاء الله، ثم يعذب»(٢) وقال ابن ماجة قولاً مماثلاُ تماماً برواية أخرى لقول أم

---

(١) الصحيح من التذكرة / لمجدي فتحي حسن / ص ٩٨، صحيح مسلم / كتاب الجنائز / وأبو داود كتاب الجنائز / مختصر التذكرة / ص ٣٥.

(٢) عذاب القبر وما ينجي منه لعكاشة عبد المنان/ ص ٣٨، مكتبة الأمام علي الزرقان الأردن/ ١٩٩٩م.

المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال: قال النبي ﷺ: «إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مرعوب ثم يقال له فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له هل رأيت الله فيقول لا ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له عن فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له انظر إلى مقعدك وقاك الله، ثم يفرج له عن فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء.... وعليه تبعث إن شاء الله». الفكرة ذاتها واللفظ ذاته، وهو رواية أخرى في موقف آخر وما أكثر مواقف النبي ﷺ[١].

٥- حديث النبي عن موسى

حديث النبي ﷺ عن موسى عليه السلام في قبره: قال النبي ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على موسى وهو قائم في قبره يصلي عند الكثيب الأحمر» [٢].

٦ - مع الجنائز قدموني قدموني :

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري كان النبي ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق» [٣].

لماذا تقول قدموني، لأنها ترى في قبرها الأخبار السارة، ولماذا تقول يا ويلها أين تذهبون بها؟ لأنها ترى المصائب فجن جنونها. وقال أبو هريرة في رواية مالك عنه " أسرعوا بجنائزكم فإنما هو خير تقدمون إليه أو شر تضعونه عن رقابكم.

٧- علي بن أبي طالب رضي الله والأحزاب، قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب يدعو على الأحزاب «ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً شغلونا عن

(١) الحياة بعد الموت – إبراهيم الجميل / ص١٠٤.
(٢) رواه مسلم وابن حبان في الجنائز.
(٣) الصحيح من التذكرة ص٦٧ / دار الصحابة للتراث / للنشر والتحقيق – طنطا ط١ / ١٩٩٥م.

الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»[١]، وذكر المؤلف الشريف (عبد الله بن علي الحازمي)[٢] روايات أخرى في هذا الحديث عن مسلم وعن أحمد بن حنبل.

٨ - أسماء في حديث البيهقي في الفتنة :

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه: قام النبي ﷺ خطيباً قالت: فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء في قبره فلما ذكره ضج المسلمون ضجة حالت بيني وبين أن أفهم آخر كلام رسول الله ﷺ فلما سكنت الضجة قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله فيك، ماذا قال رسول الله في آخر قوله؟ قال: «قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال» [٣].

وأسماء أيضاً في حديث الشيخين وبشرح العسقلاني في كتابه فتح الباري ١٤٨/١، قالت: قال النبي ﷺ ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي حتى الجنة والنار فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا من فتنة المسيح الدجال، يقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن الموقن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحا.

قد علمنا أن كنت لموقناً به وأما المنافق أو المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون فقلته[٤].

٩ - مبادئ عامة:

أ- أثبتت فئات كثيرة من المسلمين حياة البرزخ وضربت لذلك الأمثلة منها ما كان من كتاب الله ومنها وهو الأكثر ما كان من الأحاديث الشريفة، ومنها ما كان عن طريق الرؤى وهذه الرؤى تعتمد على نوايا رواتها وصدقهم، كقول بلال: غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبة، أو قول ابن عمر: إن عثمان أشرف عليهم وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقول يا عثمان إنك تفطر عندنا الليلة؟

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد .
(٢) دراسات عقدية في الحياة البرزخية / الشريف عبد الله بن علي الحازمي / ص٣١٧.
(٣) إثبات عذاب القبر للبيهقي ص٨١.
(٤) في شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني ص١٤٨.

ب- الذين رفضوا حياة البرزخ بذلوا جهوداً في التأويل أو استعملوا منطق العلم والعقل في موضوع غيبي لا يخضع للعلم ولا يخضع للعقل.

ج- أعلنت الطحاوية أو قل شارح العقيدة الطحاوية ما يلي (تواترت الأخبار عن النبي ﷺ عن عذاب القبر ونعيمه ولا نتكلم في كيفيته وتعود إلى الروح الجسد على غير ما ألفنا، وعذاب القبر هو عذاب البرزخ سواء أقبر أم لم يقبر أكلته السباع أو احترق، وكانت آراؤهم واضحة جداً وشاملة ومتكاملة في كتابهم (شرح العقيدة الطحاوية /ص٤٥٦).

د- كان واضحاً لدى المسلمين أن دعاء النبي للمتوفى تفيده كثيراً قال ﷺ: لا إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وأن الله ينورها بصلاتي"، وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم والطيالسي وأحمد بن حنبل وأبو داود وابن ماجه، أي رواه الجمع الغفير من المحدثين، وقد اشتهر هذا الحديث عند صلاة النبي على الأمة السوداء التي كانت تعتني بالمسجد.

وقد ضربت أمثلة لتأييده وبيان صحته، قال سلمان الفارسي: «سمعتُ النبي ﷺ يقول: رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فإن مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ويقطع له رزق في الجنة»[1].

ومثل آخر زيارات النبي ﷺ للبقيع حيث ينزل أصحابه الكرام رفقاء الإيمان والمجاهدون في سبيل الله وأول من عبد بالطريقة الإسلامية، وإذ كانت نساؤه تسأله ولاسيما عائشة كان يقول: بُعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم.

هـ- **التعامل مع القبور**: لا يتسم هذا التعامل بأن المسلمين يعتبرونها حجارة وطيناً وتراباً بل إنهم يتعاملون معها كأشياء ذات احترام وقداسة وتقدير، أحدهم يقول لأصحابه: لا تدعسوا على القبور، وآخر يقول لا تجلسوا على القبور، وثالث يقوم لا تجوز الصلاة على القبور، لماذا يجري هذا إذا كان الأمر حجارة وطيناً وتراباً؟ لا إنه ليس كذلك، فإنك تدعس فوق أمةٍ تحيى بأمر ربها كما شاء الله لها أن تحيى.

هل ننكر حياة القبر؟ ما سبيلنا إلى ذلك، كيف عرفنا الغيب ونحن لا نستطيع أن نكشف عنه شيئاً، ليس للإنكار أي سبيل، وليس كل شيء تستطيع أن توجهه بالعقل، هناك تقادير إلهية لا تخضع لعقولنا، إنك ترى في الشتاء بلاداً قاحلة ينتظر أهلها الغيث، والأرصاد تخبرهم أن الجو حار ولا غيوم

(١) صحيح مسلم ٥٠/٦ رقم الحديث ١٩١٣.

والجفاف ما زال جفافاً، فتخرج فئات مؤمنة إلى تلك الأراضي المشمسة الجافة يستغفرون ويدعون، ثم تنزل الأمطار ويتغير الجو ونحمد ونشكر.

لا يجوز أن ننكر حياة البرزخ بعد ما رأينا من الآيات والأحاديث والرؤى الصادقة قال صالح بن أحمد بن حنبل قال أبي: «عذاب القبر لا ينكره إلا ضال أو مضل»[1].

هذا قول مجمل لندري أن البرزخ فيه حياة، وأنه هو الخطوة التالية لحياتنا العادية، ويبدأ البرزخ بقبض الروح كما بينا سابقاً وسيأتي في البحوث التالية طبيعة البرزخ وما فيه من عذاب أو نعيم وهي بحوث تجيب عن أسئلة المؤمنين، إنهم يقولون كم يستمر عذاب العصاة من الموجودين كيف يعذب المشركون والمنافقون وإلى متى يستمر عذابهم، هل يعذب من مات منذ ألف سنة كما يعذب من مات بعده بألف سنة؟ لم يترك الحديث شيئاً إلا بيّنه، نعم قول النبي ﷺ تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

(١) دراسات عقدية في الحياة البرزخية/ للشريف عبد الله بن علي الحازي ص٣١٧.

نقاط تثبت عذاب القبر أو نعيمه

لم ير أحد منا عذاب القبر، ولم يسمع أحد من شخص ميت ماذا رأى من عذاب، وكل ما قيل عن حفاري القبور وحراس القبور والقائمين على الإشراف على المقابر فهو قصص لا يستطيع العقل أن يثق بها.

وقد غلب على قلبي وظني وفهمي أن عذاب القبور حق، وأننا سنسأل وأن منكر عذاب القبر إنسان آثم في أقل معنى من الممكن أن يوصم به.

لماذا هذا الميل للتصديق بعذاب القبر؟

أ- التعوذ: أنا لم أر التعذيب، ولكنّ رسول الله ﷺ وقف بين صحبه وقال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، أتظن بعد ذلك أني سأقول لا عذاب في القبر، إني أعلم يقيناً أن هذا رسول الله ﷺ ولا يقول الرسول إلا الصدق، ولا يحدث إلا صادقاً، وقوله الحق ووعده الحق، لقد وصل قول النبي إلى صحبه الكرام وهم ألوف، سمعوه يقول ما يلي عن عذاب القبر ويتعوذ منه:

١- قال أبو هريرة: «إن النبي ﷺ كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار وفتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال»[1]، وقد تناول هذا الحديث بلفظه إلى حد ما ومعناه تاماً شاملاً عدد من الصحابة مثل: أنس بن مالك، وموسى بن عقبة، وسعيد بن العاص، وروى عدد كثير من التابعين هذا الحديث عن الصحابة؛ لقد خرج علينا ناس من أهل المعرفة، ويعترضون بشيء من فذلكة الكلام أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد ولكن يؤخذ بها في الأعمال الحسنة، لا أدري كيف أجازوا لأنفسهم هذا القول، كأنهم أولياء الأمور أو الحكام أو القضاة، يقولون: إذا قال رسول الله ﷺ: سألني أخي جبريل ما الإسلام؟ وما الإيمان وما الإحسان؟ نأخذ ذلك بالظن، لقد سمع هذا الحديث عشرات التابعين، يرويه الناس مرة عن أبي هريرة ومرة عن عمر بن الخطاب، وكانوا أولى بالظن والشك بنا فقد عاصروا الصحابة، وانتقل عنهم الحديث إلى أتباع التابعين، وهم خير القرون كما وصفهم النبي ثم انتقل إلى المؤلفين والكتب والخط، والمسلمون ظلوا متماسكين ضمن دولة واحدة،

(١) لبخاري برقم ٢٥٣.

والقرآن والحديث هما عصب هذه الدولة، وقد حفظوا أقوال النبي وهم يعلمون أنها من أمر الله ولا مناص من حفظها ونقلها لغيرهم.

٢- روى البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة "كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة بما يأتي: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم[١].

٣- تعليم الرسول ﷺ: روى مسلم عن ابن عباس وعن أبي هريرة «كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا القرآن: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٢].

٤- التشهد: وكان الرسول يحث الصحابة إذا تشهد أحدهم أن يتعوذ من عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال"[٣].

٥- التعوذ في حديث شامل: قال البخاري عن أنس بن مالك: «كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٤].

وجاء في صحيح مسلم حديث شمل التعوذ كما شمل أشياء كثيرة، فهل إذا تعوذ الرسول من العجز والكسل مثلاً نقول نأخذ بها، فهذا من الأعمال الفضيلة، ولكن إذا قال: «أعوذ بك من عذاب القبر» أقول هذا في العقيدة فنرفضه، لا يقال ذلك ولا ندري كيف ساغ لبعض العقول أن تجري في هذا التفكير أو في ما يقاربه.

روى مسلم في صحيحه الحديث الشامل التالي، قال عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت

---

(١) كتاب الأذان من صحيح البخاري رقم ٨٣٢
(٢) صحيح مسلم كتاب المساجد باب ٢٥ رقم الحديث ٥٨٨
(٣) صحيح الجامع الصغير للسيوطي ١/١٣٧
(٤) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب ٣٧ رقم ٦٣٦٧.

خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

أما عبد الله بن مسعود: فهو الصحابي الثالث الذي روى عنه مسلم، وهو في الموضوع ذاته، ويوجد خلاف بين أحدهما والآخر، والحقيقة أن هذا ليس خلافاً ولا تعارضاً ولا تناقضاً، إن هذه مواقف، فيها أشياء تتغير بين عشية وضحاها، ويوجد أشياء ثابتة وخطيرة ودائمة في حياة المسلم، إنهم يسمونها الآن الثوابت، قال ابن مسعود:

كان النبي ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أراه قال فيهنَّ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً»[1].

موقف جديد، ماذا يقول المؤمن فيه؟ إنه رسول الله للبشر كلهم وللأزمنة كلها، وللأعمال كلها، وللحاضر وللمستقبل، ولم يترك شيئاً إلا دعا فيه ليعلمنا الدعاء، هل يأتي بعد ذلك من يقول: أمسينا وأمسى الملك لله، هذا قول صحيح، ولكن أن يقول أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر فيه نظر، فنتوقف عند عذاب القبر، لأننا لا نستطيع الوثوق بوجود عذاب القبر، يجب أن تقول كل شيء صحيح إذا كان الحديث صحيحاً، والحديث قول للنبي وانتقل إلى الأمة عن طريق الصحابة وكلها رويت في عهد الصحابة في حياة النبي وبعد حياته وثبت مكانها في شريعة الإسلام، إنها ليست تاريخ أشياء إنها دين في صميم الإنسان وسلوكه وسيرته وهذه المعاني رواها جمع من أئمة الصحابة هم عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وزيد بن أرقم.

المقعد:

لقد سبق الحديث في شيء من السؤال والجواب عن المقعد، وقد كرر كثيراً من الأحاديث الشريفة وأظن أن هذا التكرار تعبير عن أهمية هذا المقعد، فهو أول فواصل الآخرة عن الدنيا، وهو مقعد رهيب، فما قبله يختلف عما بعده اختلافاً لا يوصف، ولا نستطيع وصفه، وأسارع إلى القول النجاة يا مالك الملك يا رحيم.

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٧٢٣ من كتاب الذكر والدعاء.

هذا ما نقله قتادة الراوي المفسر الورع: «إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال نبي الله ﷺ فيراهما جميعاً»[١].

وقد روى هذا الحديث ١٨ ثمانية عشر صحابياً، وقد ذكرهم (البيهقي)[٢] في كتابه (إثبات عذاب القبر)، وكان منهم: أبو سعيد الخدري والبراء وأبو هريرة وعائشة، رضي الله عنهم جميعاً.

تلك رواية مسلم، ولم تكن رواية البخاري إلا تثبياً وتأكيداً لرؤية صاحبه، أي صاحبه الإمام مسلم، قال البخاري: (العبد إذا وضع في قبره وذهب عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل في محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله مقعداً من الجنة، وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري، كنتُ أقول ما يقوله الناس، فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من عليها من غير الثقلين)[٣]. وهذه رواية الإمام مالك وقد أشرنا لها من قبل ولكن الأهمية تتطلب أن نضعها أمام أعيننا بسبب ما لهذا المقعد من حفظ الأمانة أو خيانة الأمانة، قال الإمام مالك: قال عبد الله بن عمر، إن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة»[٤].

الضغطة:

هذه أحاديث شريفة عن ضغطة القبر، وهي نوع من الشدة يصيب كلّ إنسان، لقد حدثنا النبي عنها في مواقف متعددة، قال الإمام أحمد في حديث

---

(١) صحيح مسلم جـ ٨ ص١٦١.
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي تحقيق شرف محمود القضاة.
(٣) عذاب القبر وما ينحى منه عكاشة عبد المنام ص١٣.
(٤) موطأ الإمام مالك جـ١ ص٢٣٨.

روته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر: «قال رسول الله ﷺ: إنّ للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ»[1] كما روى النّسائي حديثاً عن الضغطة عن عائشة أيضاً، وقال فيه (إن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع، ولكن يا عائشة ويل للمشركين بالله كيف يضغطون في قبورهم)، كتاب أحكام تمني الموت ص٢٢ من النسائي.

ملاحظة: لو كان الميت جماداً لما كان للضغطة ذكر ولا تأثير، ولما ذكر سعد في باب الضغطة لكنها تلم بكل إنسان وتكون ضغطة خفيفة على المؤمن.

التعذيب:

أ- القليب: اشتهر هذا القليب وهو البئر الذي ألقيت فيه جثث قتلى بدر من المشركين، وقد جاءت مخاطبة النبي ﷺ لهم في مختلف كتب الحديث، إن رواية حديث القليب مشهورة في الأحاديث وفي سيرة النبي ﷺ، وهذه رواية الإمام البخاري: عن نافع أنّ ابن عمر ؓ أخبره قال: «اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقيل له: تدعو أموتاً؟ فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»[2].

وقالت عائشة في رواية الحديث ذاته إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقوله حق، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠][3].

لقد بدأت مرحلة سؤالهم وتعذيبهم، لقد علموا الحق، فلماذا لم يستجيبوا.

ب- الدعاء على المشركين: عن علي بن أبي طالب ؓ كنا مع النبي يوم الخندق، فقال النبي ﷺ: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن صلاة الوسطى (صلاة العصر حتى غابت الشمس)[4]، أن الرسول ﷺ لا يرد له دعاء.

وقال الإمام مسلم في الحديث ذاته عن عليّ بن أبي طالب ؓ أن رسول الله

(١) إثبات عذاب القبر للبيهقي ص٨٢.
(٢) صحيح البخاري رقم ١٣٧٠، ٤٠٢٦
(٣) صحيح البخاري ١٣٧١.
(٤) رواية صحيح البخاري ٢٢٨.

ﷺ كان يوم الأحزاب قاعداً على فرضة من فرض الخندق فقال: شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غربت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً.

ج- النميمة والبول: عن ابن عباس ﵁ أنه قال: مر النبي ﷺ على قبرْين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»(١).

وذكر البيهقي أيضاً أن الإمام البخاري روى عن ابن عباس ﵁ أن رسول الله ﷺ مرَّ على قبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم يَيْبسا» (٢).

د- الأَقبر الستة: وهذا حديث لمسلم عن عذاب ستة من المشركين توفوا قبل مجيء الرسالة المحمدية، وقد رواه مسلم عن زيد بن ثابت، قال زيد "بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال النبي ﷺ من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا، قال فمتى مات هؤلاء قالوا: ماتوا في الشرك فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: نعوذ بالله من عذاب القبر، وقال تعوذوا بالله من عذاب القبر، وقال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال"

ولهذا الحديث عدة روايات، تجمع على ما يلاقونه من عذاب شديد.

هـ- عذاب اليهودية: سمعت الصحابية عمرة بنت عبد الرحمن الصحابية التي اهتمت برواية الأحاديث الشريفة سمعت عائشة وقد ذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة يغفر الله لأبي عبد

(١) صحيح البخاري جـ ٣ ١٨٨.
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي ص٨٦.

الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يُبكى عليها، فقال إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها»[١].

وأما الإمام أحمد فذكر في مسنده: «عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ في نخل لأبي طلحة، فمر رسول الله ﷺ بقبر فقام حتى مر إليه بلال فقال: ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع؟ فقال: صاحب القبر يعذب»[٢].

و- أشمل دعاء للنبي عند الدَّفن:

قال النووي: هذا أصح الأحاديث في دعاء النبي ﷺ لأحد الصحابة عند الدفن، قال الإمام مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك ﷺ قال صلى النبي على جنازة فحفظتُ من أقواله: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار حتى تمنيتُ أن أكون ذلك الميت»[٣].

وقال النووي عن صحيح مسلم أيضاً، قال: عن عثمان بن عفان ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»[٤].

هل من دعا له النبي ﷺ يعذب؟ إن دعاءه مستجاب، فالبشرى لكل صحابي دعا له الرسول، البشرى له في قبره والبشرى له يوم الفصل.

ذكر القرطبي ما يلي:

تزاور الأموات:

أ) روى مسلم في كتاب الجنائز، قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم»[١].

---

(١) مختصر صحيح مسلم، تحقيق المنذري ثم الألباني ١٢٦/١، وصحيح البخاري رقم ١٢٨٩، كتاب الجنائز.
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي ص٧٥.
(٣) الأذكار المنتخبة للنووي ص ١٤٢، ص١٤٧.
(٤) الأذكار المنتخبة للنووي ص ١٤٢، ص١٤٧.

ب) وقد ذكر السيد إبراهيم محمد الجمل رؤيا لصحابيين جليلين اشتهرا بالتقوى والتفاني في سبيل الإسلام، قال: «قال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلي فأخبرني بما لقيت، فقال الآخر: وهل تلتقى الأموات والأحياء؟ قال نعم، أرواحهم في الجنة تذهب حيث تشاء قال: فمات أحدهما فلقيه في الرؤيا فقال: توكّل وأبشر، فلم أر مثل التوكل قط»[٢].

ملاحظة: كان الرسول ﷺ يحث أصحابه على ذكر رؤاهم، وكان يقول: (انتهت النبوة، وبقيت الرؤيا للعبد المؤمن، وهي تعدل واحداً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). وكل مسلم متوكل على الله يستبشر برؤياه الصادقة التي حفظها متكاملة، فهي شيء من النبوة.

ج- موسى (عليه السلام) في قبره: قال أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»[٣]، وقد شرح هذه الأحاديث الشريفة عبد الله بن علي الحازمي، وذكر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: عرض علي الأنبياء، أي في ليلة الإسراء.

د- صلاة المؤمنين في قبورهم: روى ابن حبان في صحيحه أن الملكين يسألان المؤمن يقولان له: «أرأيت هذا الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول دعوني حتى أصلي فيقولان إنك ستفعل».

هـ - البشرى: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة: إنا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه وكره لقاء الله كره الله لقاءه)[٤]، وقد شرح الشيخ الأستاذ محمد عبد الله الحكمى الأحاديث المتعلقة بنعيم المؤمن في قبره، إذ يقول منادٍ من السماء صدق عبدي المؤمن فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا في الجنة فيأتيه من روحها ورائحتها.

---

(١) عذاب القبر ونعيمه للقرطبي بتحقيق الشيخ أحمد جاد ص٧٩، الحياة بعد الموت إبراهيم الجمل ص٦٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل.
(٣) دراسات عقدية عبد الله الحازمي ص١٦٦.
(٤) أخرجه الخمسة أي إلا أبا داود.

و- وروى النسائي عن جامع بن شداد أن النبي ﷺ قال: من يقتله بطنه لم يعذب في قبره[1]، وصف السيد مجدي فتحي السيد الحديث بأنه حديث صحيح.

ز- وروى مسلم عن المرأة السوداء: قال أبو هريرة "إن امرأة سوداء كانت تقُمّ المسجد ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا ماتت، قال: أفلا آذنتموني؟ قال فكأنهم صغروا أمرها، قال: دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة إن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم[2]. إن النور من الخير الذي ستحس به المؤمنة السوداء، رحمها الله تعالى.

ح- وأورد الشيخ الشريف عبد الله بن علي الحازمي عدة أحاديث تدل على أن أرواح النّبيين في أعلى عليين، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وأن أرواح المؤمنين في الجنة حيث شاءت وأن أرواح الكافرين في النار)[3].

ط- وذكر الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن «المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية مرضياً عنك إلى رضوان الله وكرامته فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين»[4].

إن جملة هذه الأحاديث تبين أن الأشقياء أكثر من السعداء ولذلك كانت أحاديث العذاب تفوق أحاديث النعيم كثيراً، وليس الأمر صعباً على القارئ إذ يرى في حياته من لا يؤمنون بالله ومن لا يهتمون بالدين أي اهتمام ومن لا يؤمنون بالقرآن وخاتم النبيين والاستثناء في سورة العصر واضح ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والمستثنى دائماً أقل من المستثنى منه.

---

(١) الصحيح من التذكرة للقرطبي / تأليف: مجدي فتحي السيد / ص١٢٢.
(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ١/١٣٠.
(٣) دراسات عقدية للشريف عبد الله الحازمي / ص٢٠٠.
(٤) مسند أحمد / والمستدرك / وهو حديث صحيح.

طبيعةُ الحياةِ البَرزخيّة:

ليس لنا حق في ذكر أي شيء عن هذه الحياة إلا ما ذكره القرآن أو الحديث الشريف، فليس العلم بالغيب مفتوحاً لأحد إلا أن يكون رسولاً، أو أن يكون له رؤيا واضحة محددة فهو رجل صالح مثلاً أو فيه ميل للصلاح، فتكون له رؤيا تتناول شيئاً من الغيب، فالرؤيا حق لأنها بعد موت النبي هي الباقية من آثار النبوة، وقد حصرها النبي ﷺ بالمؤمنين.

وهذه الطبيعة البرزخية فيما أرى تبدأ بأخذ الروح لأن أسلوب أخذ الروح له دلالة على مستقبل الحياة البرزخية، وهذه أهم ثلاث أفكار في هذه الحياة البرزخية: (أ) آراء المنكرين (ب) كيف تؤخذ الروح؟ (ج) طبيعة البرزخ.

أ- الروحانية والمنكرون: ما هي الدلائل التي قدمها العلماء الروحانيون، من المسلمين أو غير المسلمين؟ ما الأدلة التي قدمها بعض المعتزلة وبعض الخوارج إذ أنكروا الحياة البرزخية وهم بالطبع من الفرق الإسلامية؟ ما الذي قدمته الكرامية؟ وما الذي قدمه بشر المريسي وأمثال بشر من الذين أنكروا الحياة البرزخية؟ ما الأدلة التي يتحدث بها الآن من ينكرون الحياة البرزخية؟ ما أدلة أبي الهذيل وضرار بن عمرو، ما أدلة هؤلاء وغيرهم؟ العقل وليس غير العقل، والأفكار وليس غير الأفكار.

إن طائفة من هؤلاء أعلنت اعترافها بالحياة البرزخية، ولكن لم تقدم إلا أشياء ظنية لا ترقى لمستوى علم الغيب، كأنها تطلب استرضاء الآخرين، ليس لديها أفكار وأدلة.

وإن طائفة أنكرت، ولم تر في البرزخ إلا التراب والحجارة والتفتت، وكذلك لم يكن لها دليل في إثبات ذلك إلا ما تراه العقول، ولكن بعضهم استند إلى آيات وفسرها واجتهد لتكون مناسبة لأفكاره في الإنكار، فذهب بكل بساطة إلى آيات الإحياء والإماتة التي جاءت في القرآن دالة على قدرته وعظمته، فهو سبحانه الذي أحيا وأمات ثم يحيي، تدل معاني الآية هذه وأمثالها على أنّ القوة بيد الله، فاعتبروا بقوته واتقوه، وأهملت هذه الفئة جميع الأحاديث وقالت هي أحاديث آحاد لا نثبت بها عذاب أو نعيم البرزخ، إن سؤال الملكين في القبر رواه عن رسول الله ﷺ ستة وعشرون صحابياً، وهم من كبار الصحابة: أنس بن مالك والبراء بن عازب وتميم الداري وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعثمان وأبو سعيد الخدري..

ب- كيف تؤخذ الروح؟ وكيف تعود؟ ذكر الترمذي في كتاب الجنائز أن منظر الملكين اللذين يسألان الكافر منظر شديد على الكافر بسبب سوادهما وزرقتهما، بعض لونهما أسود وبعضه أزرق، وذكر أن اسميهما منكر ونكِر، وقد صحح هذا الحديث (الألباني)[1] في عصرنا الحاضر.

وأما ابن حجر العسقلاني فقد صدق ما جاء عن الترمذي في الملكين اللذين يسألان الجاحدين، ولكنه أكمل وصف الملكيْن اللذين يسألان المؤمنين فقال: «وإن اسم الملكيْن اللذيْن يسألان المطيع: مبشر وبشير»[2].

هذا عن السؤال وأما أخذ الروح أو قبضها أو إخراجها، فقد سبق وأن تفلتت الإجابات عنها في مواطن عديدة، لأن الحديث الشريف أحياناً يكون شاملاً ولا يجوز لنا تفتيته على هوانا، ولكن التلميح في لغتنا يغني عن التصريح، والشيء القليل قد يدل على شيء كثير، وربما كان المثل ذو الكلمات القليلة دالاً على قصة كاملة.

خرج أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «إذا قُبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم وتسل نفسه في حريرة بيضاء فيقولون ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه فيسألونه فيقولون: أرفقوا به فإنه خرج من غمّ الدنيا، فيقولون: ما فعل فلان ما فعلت فلانة؟ قال وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض»[3].

إذاً أسلوب قبض الروح يدل على مستقبل الميت، فإن كان القبض يسيراً وسهلاً كان ذلك بشرى له، وإن كان شديداً فقد بدأ عذابه، وكل روح تتجه إلى الموضع المناسب لها.

وقد سئل ابن تيمية عن عودة الروح إلى بدن الميت في القبر فقال: (ليس مثل عودتها إليه في هذه الحياة)، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الميت يوسع له في قبره، ويسأل ونحو ذلك، فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه.

وأما ابن القيم فقال: (هذا عود غير التعلق الذي كان لها في الدنيا بالبدن وهو نوع آخر، وغير تعلقها به حال النوم، وغير تعلقها به وهي في قبرها بل عود

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ ٣٧٩.
(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٨٠/٣.
(٣) الصحيح من التذكرة للقرطبي مجدي حسن ص١٠٢.

خاص للمسألة)[1]، توقف كل من ابن تيمية وابن القيم عند نقطة واحدة هي: تعود ولكن غير العود الذي نعرفه، ثم لم يخوضا في أشياءٍ مجهولةٍ، إنهما لم يجدا نصاً يعتمدان عليه في هذا المجال، فكفا عن الحديث، وليتَ كل من لم يجد دليلاً يسكت فيستريح ويريح.

وكنت أتمنى على الأستاذ نايف زهر الدين ألا يعتمد العقل في الأشياء المجهولة وأن يبحث عن نص، اسمع ما يقول عن تنقل الروح من جسد إلى جسد (النفس خالدة والدليل البساطة، الذي يفنى ويتحلل هو المركب من أجزاء أما البسيط فلا يفسد!)، كيف عرفنا أن الروح جزء بسيط؟ وقال: (النفس من النوع البسيط فهي إلهية خالدة!)

إن العقائد ليست سمة خاصة لفئة معينة من الناس، العقائد للبشرية كلها، فيجب أن تكون أدلتها سهلة وواضحة، أما أن تعتمد على الخيال والتصور فإن هذا بعيد عن العقائد والسلوك المترتب عليها. وانظر مثل ذلك أو قريباً منه ما يقوله السيد عكاشة: (إن حياة الميت في قبره بعودة الروح إليه لا تعني الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن ويحتاج معها إلى طعام وشراب ولباس، إذ كان ذلك خطأ وكان الحس والعقل يكذبه، إن قول النبي ﷺ ثم نفاذ روحه إلى جسده لا يدل على حياة مستقرة)[2] ثم قال (وهكذا تكون حال الميت بحيث يكون تعلق روحه به يعطيه حياة غير حياة الحي الذي لم يمت)[3]، لا نعرف شيئاً عن ماهية هذه الحياة، ولا نستطيع أن نتحدث عنها بشيء لأنها مجهولة، لكن ابن تيمية رأى أنه يوسع له، ويُعطى مساحة مدّ البصر، لماذا؟ ابن تيمية يستفيد من التوسعة أن حياته أكمل، لكننا في ذلك كله نعتمد الخيال والتصور، الأفضل أن نتوقف عن وصف حياة مجهولة لأنها غيب ولا يعلم الغيب إلا الله، يوجد لدينا أحاديث شريفة، وما بعد هذه الأحاديث إشارة حمراء.

كيف يكون نعيم المؤمن؟ كيف يكون عذاب المشرك؟ كيف يكون وضع المؤمن العاصي؟ ليس لنا أن نجيب إلا بما يسمح به القرآن أو الحديث، وهذا بيان ذلك.

---

(١) دراسات عقدية للشريف عبد الله علي الحازمي ص٢٥٢.
(٢) الحياة بعد الموت لنايف زهر الدين ص٤٠.
(٣) عذاب القبر في الميزان، عكاشة عبد المنان ص٢١٧.

نقاط عن طبيعة البرزخ

١- أكثر عذاب القبر من البول، وقد صحح الألباني هذا الحديث: «تنزهوا من البول»[١] رواه أبو هريرة مرفوعاً، وذكر السيوطي برواية الدار قطني عن أبي هريرة «أكثر عذاب القبر من البول»[٢].

٢- وروى البخاري عن ابن عباس ﷺ (مر النبي ﷺ بحائط من المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبيﷺ: «يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال بلى، أحدهما كان لا يستبرئ من البول (أو يستتر)، وكان الآخر يمشي بين الناس بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين ووضع فوق قبر كل منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلتَ هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم يَيْبسا»[٣].

٣- انتهاء عذاب البرزخ: ينتهي عذاب القبر عن المؤمنين بدعاء أهلهم لهم أو بدعاء أصدقائهم أو بالصدقة أو ثواب الأعمال الصالحة، من أهلهم وغير أهلهم، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وربما ينقطع العذاب بعفو الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وذكر عن ابن عباس ﷺ (ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المتغوّث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو ولد أو صديق، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وأن الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال وأن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم[٤]، والحديث التالي يثبت ما ذكره ابن عباس قال النبي ﷺ ((إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى لي هذا؟ فيقال له: باستغفار ولدك؟)) رواه الإمام أحمد والبيهقي والألباني.

وقد اشتهر عن النبي ﷺ قوله: من ((سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))، كما اشتهر قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله

---

(١) (٢) الجامع الصحيح ٥٥/٤/٣ للبخاري.
(٣) كتاب الروح، لابن القيم الجوزية ص١١٢.
(٤) أحكام تمني الموت ص٧٤.

إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "كما اشتهر قوله ﷺ عند دفن أحدهم في المدينة "ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل».

وقال الشريف الحازمي عن عصاة المؤمنين نقلاً عن البخاري ومسلم "منهم من تكون معاصيه كبيرة فيستمر به العذاب لقول النبي ﷺ ((بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء. خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة))[1]وقال عن عصاة المؤمنين أيضاً "منهم من تكون معاصيه صغيرة فيعذبون بقدرها ثم يرفع عنهم العذاب وقد ينقطع أو يرتفع بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة القرآن تصل إليهم من بعض أقاربهم، أو غيرهم.

٤- أولاد المشركين:

الحديث التالي يدل على مستقرهم الأخير، قال البخاري يصف مآلهم كما في رؤيا النبي ﷺ «فانطلقنا فأتينا على روضة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهريْ الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، فقال: قلت لهم ما هؤلاء؟ فأجيب النبي ﷺ أما الرجل الذي في الروضة فإنه إبراهيم وأما الولدان حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين»[2] وذكر الشريف الحازمي أن النووي قال: (وهذا المذهب الصحيح الذي أختار والذي صار إليه المحققون)[3].

٥- الشهداء: هؤلاء لا يسألون في قبورهم، وقد أخرج مسلم عن سلمان الفارسي أنه قال "سمعت رسول الله يقول ((رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان)).

---

(١) كتاب أحاديث الأنبياء الباب ٥٤ رقم ٣٤٨٥، صحيح مسلم باب اللباس والزينة ٢٠٨٨/١٠.

(٢) الجامع الصحيح البخاري، كتاب التسعير ٤٧ رقم ٧٠٤٧.

(٣) دراسات عقدية، للشريف الحازمي ص٢٢٦.

وقد روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ عدد من الصحابة منهم: أبو أيوب الأنصاري وعثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكن الرواية كررت أكثر عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وقد حزنت أم صحابية على ابنها حارثة فقالت: «يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة (وكان قد قتل يوم بدر) فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك جهدت عليه في البكاء، قال يا أم حارثة: إنها جنان في الجنة وإنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى»[1].

هنيئاً للحارثة وهنيئاً لأم الحارثة، إنه يعيش في أعالي الجنة، وما ذكر الرسول ﷺ الأعالي إلا وكان يعلم أن الجنة درجات، منها ما هو في الفردوس ومنها ما هو في الجنة أو في بابها، أو من تعلقت روحه بطيور خضر تطير به حيث يشاء.

٦- الروح والبدن: هذا رأي جديد وهو للشيخ محمد حسنين مخلوف شيخ الجامع الأزهر، قال الشيخ: (الأبدان في دار الدنيا ظاهرة والأرواح خفية في أبدانهم والأرواح في البرزخ ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، وفي الدار الآخرة أدار أحكامها على الأرواح والأبدان معاً لأن الأبدان من جنس الأرواح)[2]، وقال الشيخ مخلوف: (إن نور الحياة وإشراقها عند رد الروح إلى البدن وتعلقها به في نشأة البرزخ أتم وأكمل منها في النشأة الأولى وإن كان أثر هذا محسوساً وذلك غير محسوس)[3].

لا نص واضح محدد نركن إليه في هذا، غفر الله لنا وله.

٧- استنتاج مهم: قال النوّوي في شرحه لصحيح مسلم (إنّ إثبات عذاب القبر تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾، وتظاهرت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب ١٤ برقم ٢٨٠٩.
(٢) المطالب القدسية ص١١٣.
(٣) المصدر السابق.

الأحاديث الصحيحة من النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وما ورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده)[1].

وقال أبو الحسن الأشعري "وأنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي ﷺ.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٠/١٧.

أشراط الساعة

الساعة أَيّان مرساها؟

تمهيد:

لقد نزل في وصف الساعة في القرآن الكريم آيات عديدة ذات تأثير بالغ قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[1].

وكان من أسمائها ما يدل على ثقلها: القارعة، الصاخّة، والقيامة، ويوم الجمع، ويوم الفصل ويوم الحشر والزلزلة، والحاقة، والواقعة، ويوم التغابن، ويوم التناد، ويوم الحساب، ويوم الدين، ويوم الحسرة، واليوم الآخر، وأسماء أخرى تدل على ثقلها وعلى أن الإنسان عليه أن يجهز نفسه لذلك اليوم العظيم.

لقد ثقلت هذه الساعة في السموات والأرض، وليس لنا بد من تذكرها في جميع أوقاتنا بالجد كله والهيبة كلها، لماذا؟ لأن فيها الفصل، إما أن تكون مسلماً مُتّقياً لله فتتوجه إلى منزلك في الجنة، كأنك تعرفه كما تعرف منزلك في حياتك هذه وإما العكس، فتذهب مكبلاً بوجه قبيح، تسأل عن الخلاص ولا خلاص وتمشي على وجهك الذي كان موضع الجمال صار الآن للجاحدين موطئ القدم، إننا الآن في سَعَةٍ من الأمر ولكنا لنا مشاغلنا الصناعية والزراعية والصحية والوظيفية يجب ألا نتلهى بكل ذلك، لقد أخفيت عنا الساعة حتى يكون لعقلك وإرادتك الحكم الكامل على سلوكك، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[2] وقد غضب سبحانه من أولئك الذين ينكرونها غضباً شديداً، كأنهم جمعوا أعضاءهم وعظامهم، وحواسهم، وأجهزة الهضم والبصر والفكر كأنهم لملموها من الشوارع، ما هذا العمل الخيالي الجنوني، إن كل شيء في الإنسان حتى الشعرة التي تنبت وتصبغ بالسواد ونقصها ثم تنمو وتجمل موقعها وتقوم بواجبها، حتى الشعرة تدلك على خالقها، ولكن بعضنا يلهو عن وظيفته في هذه الحياة، ويشغل نفسه كل الشغل في متاع مؤقت، ويجادل في أشياء فوق مستواه، ما الساعة، ولماذا الساعة، إنه كفر بلا منطق

---

(1) سورة الأعراف ١٨٧.

(2) سورة طه ١٥.

ولا ذوق ولا رؤية، ما هو إلا مراء، وماذا يكون وصفي كإنسان لحالة هؤلاء بعد أن يقول الله تعالى فيهم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [1]، وبعد أن يقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[2] كلمات معدودات، ولكنها شديدة كأشد ما يكون القانون صارما، وما هي نتيجة هؤلاء المبطلين؟ لقد ساءت جنهم مستقراً ومقاماً.

هول الساعة:

قرأ الرسول ﷺ تلك السور التي تزلزل العقول، قرأ الزلزلة وطاف بين الناس يشرح الزلزلة وما سيجري للناس بعد الزلزلة، وقرأ سورة القارعة التى تهز نفوس المترددين والجاحدين، وقرأ سورة الواقعة وما فيها من آيات تضرب القلوب الباردة فتوقظها، وقرأ القيامة، والصاخة، والآزفة، كانت قراءات الرسول للناس تجرى في مجرى واحد وهو اتقوا الله وآمنوا بالله وأطيعوا الله وجهزوا أنفسكم ليوم الحساب، إنه ليس يوماً عادياً نضحك ونلهو فيه، إنه يوم القرار الأخير!

قال سبحانه ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]

وقال سبحانه ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١-٢] ، وقال سبحانه ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وقال رسول الله ﷺ وذلك برواية البخاري ومسلم "بعثتُ أنا والساعة كهاتَيْن" وقال رسول الله ﷺ: «ما أجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس» وذلك برواية البخاري ومسلم أيضاً، وقال الرسول ﷺ:«لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها» هذا الحديث للإمام أحمد بن حنبل.

---

(1) الحج ٥٥.
(2) الجاثية ٢٧.

وذكّر الرسول المسلمين كما ذّكر المشركين بهول الساعة فقال: قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [1] وقال سبحانه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [2] وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [3] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [4]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [5].

كان الرسول بين أظهرهم، لم يكن رجلاً عادياً، لقد أوتي الحكمة والصبر، وجعل يوم القيامة حاضراً في أنفسهم، من كان كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية خالدة لا يرى فيها سوءاً، ومن كان كتابه بشماله فليس له إلا السوء، والعذاب الذي لا يعلم حدوده إلا الله، كانت هذه الفكرة ملازمة لهم كأنها عضو رئيسيّ في أجسامهم، إنها ماثلة أمامهم بذهنهم وعقلهم وبصرهم، يتحدثون عن الآخرة وعن الجنة الخالدة والنار وجنهم ولظى كأنها ستبدأ غداً.

لقد نقيت نفوسهم فأصبحت شفافة واضحة صادقة مخلصة تقية، تخاف من الله ولا تجد ملجأً يحميها من هذا الخوف إلا أن تزداد إيماناً وطاعة وفِكراً وخشيةً. كل منهم يظن أن الساعة أصبحت على الباب.

([1]) سورة الحاقة ١٤- ١٥.
([2]) سورة الحاقة ٣٠-٣٢.
([3]) سورة القيامة ٣٦-٣٩.
([4]) سورة النبأ من ٢١-٢٣.
([5]) سورة النحل من ٢٨-٢٩.

آمنوا بكل ثقة وخافوا من ذلك اليوم الرهيب، وانتقل الخوف من هؤلاء المؤمنين إلى الأعراب في البوادي، ولذلك تجد هؤلاء الأعراب يأتون إلى النبي فيسألون ويكثرون من السؤال، يقولون: يا رسول الله متى الساعة؟ وانظر إلى النبي ﷺ وهو يحذرهم من قيام الساعة ومن قربها ليستعدوا ويخلصوا لله كل الإخلاص، قال أنس بن مالك ﷺ إن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متى تقوم الساعة؟ "فسكت رسول الله ﷺ هنيهةً، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال: «إنْ عُمِّر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم»[2].

لقد استمر ذكر الساعة طوال حياة الرسول في مكة وفي المدينة، وكان الناس لا يتوانون عن السؤال، وقد وصف القرآن حالهم، إذ قال سبحانه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ...﴾.

إن تساؤلهم متصل مستمر، متى الساعة متى الساعة، وقد ذكر الفعل المضارع (يتساءلون) لأن هذا الفعل يدل على الاتصال والاستمرار، وجاء الفعل ذاته في سورة الأعراف﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾؟ فالفعل المضارع يدل على الاتصال والاستمرار وهذا يعني أن تساؤلهم مستمر لأنهم ينظرون إلى الساعة كحقيقة واقعة ويريدون أن يعلموا متى ستقوم حتى يستطيعوا التحضير لها، هي آتية، وزمنها قريب وتأتي فجأة، ويرهبهم ما تقوله الملائكة في ذلك اليوم الرهيب: (فادخلوا أبواب جنهم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين).

هذا الجو الرهيب من التساؤل والانشغال باليوم الآخر وما في ذلك اليوم من لونين متناقضيْن جداً، أبيض أو أسود، إما جنة وإما نار، ((فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)).

([1]) ([3]) مختصر صحيح مسلم جـ٢/ ص ٣٠٩.

هذا التساؤل وهذا التعلق بأمر الآخرة، جاءت معه عدة أمور تصف هذه الآخرة وتصف ما سيأتي قبلها منذ مجيء الرسول ﷺ حتى تأتي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين بأمره تعالى فلا يبقى إنسان صالح في الأرض شرقها وغربها، وتقوم القيامة على شرار الناس.

إذاً، جعل الرسول ﷺ أنظار الناس تلتفت إلى حوادث وأعمال ووقائع ستأخذ وضعها القوي في حياة المسلمين، ستقع أشياء وتكون مؤثرة في حياة المسلمين فلا تعني الساعة ذلك الزمن المحدود الذي نفكر به، وإنما ترتبط بحدوث الأشياء التي ذكرها رسول الله عن هذا المجتمع الإسلامي الكبير، إن أخبار الأمة الإسلامية في مستقبلها منذ عهد النبي ﷺ جاءت شاملة وافية في أحاديث النبي، وإن هذه الأخبار ليست غيباً لمجرد الغيب، وإنما هي تثبيت للمؤمنين وتعريف لهم بما سيفعلونه في المستقبل، وليعلموا أن الله تعالى حق في كل أقواله، فهو سبحانه أحق أن يتبع، ولذلك نجد أحاديث عن انتشار الإسلام وخيرات الأمة ومقتل بعض الصحابة الكرام ومنها أمراء المؤمنين، ونجد أحاديث عن فتح البلدان، وأحاديث عن الفتن، وأحاديث عن الهداية والإصلاح والقوة، وهكذا إن الأحاديث هذه ما هي إلا كتاب عن مستقبل الأمة، إنه تاريخ للأمام، إنه تاريخ المستقبل وليس تاريخ الماضي إن أمتنا نالت حظاً عظيماً بالسير على هدى آخر المعجزات وهي المعجزة الدائمة الخالدة التي لا تمحى ولا تغير ولا تبدل إنَّها القرآن الكريم.

لماذا ندرس أشراط الساعة؟

هذه الأشراط أو العلامات لها أهداف تتعلق بالإيمان والكفر، والمعنى هو ظهرت أشراط الساعة فعليكم أن تزدادوا إيماناً وعملاً صالحاً، إن لكل أمر إلهي أغراضاً وأهدافاً، فالغرض للمؤمنين أن يستقيموا على ما هم فيه، وأما الهدف الآخر فهو رحمة أيضاً بالكافرين والمشركين، تقول العلامة للمشرك: أنا الذي ذكر لك رسول الله ﷺ أني سآتي بين يدي الساعة، مضى على رسول الله محمد أكثر من ١٤ قرناً، وقد نبأ الناس أن هذا الشيء سيأتي قبل الساعة فأدرك نفسك، اسأل عن القرآن الكريم ما هو، وما فيه، ومن أنزله، وماذا يأمر، هل هذا الكتاب من الله حقاً؟ كيف عرفنا أنه كتاب الله، لا تترك الوقت يتفلت من بين يديك وأنت لاهٍ ضائع. ومن أكبر النعم نعمةُ وجود الدليل بين يديك، فليس القرآن عصا سيدنا موسى ذهبت وانقضت وليس إلى عودتها من سبيل، وليس

القرآن معجزات سيدنا المسيح الكثيرة العظيمة لأنها مضت وانقضت، نريد معجزة الآن، وإنه سبحانه هو الذي جعل آخر الأدلة سوراً محددة الفكرة واللفظ والمعنى، تدخل كل بيت ويقرؤها كل إنسان، ويعلم من قراءته أن هذا الكلام ليس كجميع الكلام في العالم، إنه إعجاز لكل عربي وغير عربي، مثقف أو غير مثقف، إن سورة الكوثر ١٠ كلمات فقط تقرؤها كما تقرأ سطراً في كتاب أو جريدة وتفهمها، فما بالك تأتي بمثل سطر الجريدة وسطر الكتاب ولا تأتي بسطر القرآن! هذا معجز كدليل لله في الأرض كلها.

لقد أنبأنا القرآن بأشياء ستحصل، وأنبأنا رسول الله ﷺ بأشياء ستقع، فالعاقل فينا من اتعظ بهذا النبأ، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيغلبهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[(١)]، لقد ضربتُ هذا المثل لأننا نشاهد طرفه الأول فاليهود هم الأقوياء، حتى كأن المسلمين ولاسيما العرب منهم مصابون بالإحباط بسبب علو بني إسرائيل وقوتهم، وبسبب مؤازرة أكبر قوة في التاريخ لهم، وبسبب مؤازرة قوى أخرى لهذه الدولة، لقد آزروها بالسلاح والتكنولوجيا والمال والمواقف المعنوية كالدعاية وتبنّي المقترحات السياسية التي تعلي من شأنها وبسبب تفتت المواقف العربية وضعفها، وبسبب اتخاذ القرارات في مؤتمرات القمة العربية والتردد في وضعها موضع التنفيذ، إنّ هذه الأمور وغير هذه الأمور جعلت المسلمين ومنهم العرب يظنون أن هذه الدولة الإسرائيلية دائمة ما دامت السموات والأرض، فجاء الحديث الشريف الذي ينبئ عن مستقبل أمة بني إسرائيل ومآلهم ونهاية هذه العظمة ونهاية هذا الفساد، فإذا رأينا هذه الدولة وهي في أوجها زمن موشي شيريت وبن غوريون وموشي ديان ورابين وشارون فإنا بدأنا نرى شيئاً من نهضة الأمة العربية ونهضة الأمة الإسلامية ونهضة تكتلات عربية وإسلامية، وبدأنا نرى انحساراً في القوة الإسرائيلية، بدأت الموازين تتغيّر ببطء، اخترقت جيوش مصر وسوريا ومن وقف معهم من الأردنيين والسعوديين والعراقيين، اخترقت الحصون في سيناء والجولان عام ٧٣، وثبتت القوات الفلسطينية واللبنانية عام ٨٢ في لبنان الكبير المجاهد، ثم حقق حزب الله نصرين الأول عام ٢٠٠٠ والثاني عام ٢٠٠٦، والعاقبةُ للمتقين.

هذا الحديث تنبيه لكل إنسان مفكر في طول الكرة الأرضية وعرضها، إذا قرأ ذلك فعليه أن يقول: وماذا يأمر هذا الرسول؟ إنه يأمر بالعودة إلى كتاب الله القرآن الكريم، فالأحاديث عن قرب قيام الساعة، أو الأحاديث التي تقول لا

---

(١) مختصر صحيح الإمام مسلم ٢٩٦/٢.

تقوم الساعة حتى يحدث كذا وكذا، هذه كلها لإثارة الوعي بصدق الإسلام هذه جميعاً أحاديث إنقاذ، إن كل كلمة عن المستقبل ليست من قبيل التنبؤات بل هي حقائق راسخة لتثبيت إيماننا، لقد دوّن الرسول تاريخ الأمة الإسلامية في صفحات فنعرف ما سيأتي قبل أن يأتي.

لقد أشارت أحاديث شريفة متعددة إلى مستقبل الأمة وعلاقتها بالأمم المجاورة وقوة انتصار المسلمين على الإمبراطوريات السابقة، قال النبي ﷺ: قد مات كسرى ولا كسرى بعده ومات قيصر ولا قيصر بعده، وقال النبي ﷺ لعمار وقد كان يفني نفسه في حفر الخندق، " تقتلك الفئة الباغية يا عَمّار، وقال رسول الله ﷺ: «لتفتحنّ عصابة من المسلمين كنز آل كسرى» إن النبي يذكر حوادث وأشياء مستقبلية، لأنه نبي ورسول، وليس ذلك من قبيل التنجيم، فالمنجم إذ يخطئ نتساهل في شأنه، ونقول إنسان يجتهد ويخطئ، ولكن أي خطأ للرسول ﷺ نقول فيه: انهارت الدعوة، لأنه لا يجوز للرسول أن ينبئ عن شيء رجماً بالغيب، فلو مات عمار في المدينة لترك الناس الدعوة، لأن الدين ليس موضع تجارب، ولو ظهر كسرى بعد ذلك الكسرى لانهارت الدعوة أيضاً، فكل أمر قاله النبي أو تحدث عنه فهو كائن : ناهيك عن القرآن العظيم وأخباره عن الغيب، ولك أن تفتح كتاب الله وتقرأ الآيات التسع الأولى في سورة الإسراء عن بني إسرائيل، فستجد أن هذه الآيات فتحت غيباً مطوياً عمره ثلاثة آلاف عام تقريباً. إن الله لا يعجزه شيء.

ونجمل القول إن جميع الأحاديث التي وردت عن فتن المستقبل أو أخبار عن الأمة الإسلامية أو آيات عن قرب الساعة، إنها تنبه الإنسان إلى أن يثق بالله ورسوله وينشط في أداء ما عليه من عبادة وعمل، وأن يتثبّت من إيمانه، وأن يقبل على ربه حامداً وشاكراً ومطيعاً، فإن فعل الإنسان ذلك فقد تحقق المطلوب من أنباء الغيب.

إنَّ دراسة حديث اقتتال فئتين عظيمتين دعواهما واحدة من المسلمين فيه دعوة لمن بعده أن يجتهدوا ويجعلوا آثارها محدودة، ومحاولة حلها بطرق سهلة لا تهلك المسلمين.

وإن دارسة حديث النبي عن تقليد المسلمين لغيرهم له هدف محدد، وهو أن يتدارك العقلاء من أمة الإسلام هذا الضرر ليبعدوه عن شبانهم من ذكورهم وإناثهم، إنه ليس خبراً مجرد خبر، بل خبر مهم، وشيء يشكل خطراً على

الأمة، وهو شيء مكروه، ولا يجوز السكوت عليه، فمن عمل في إصلاح المؤمنين وإبعادهم عن الخطر فله منزلته عند ربه.

هذا هو القياس، وهذا هو الاجتهاد، وهذا هو الهدف من ذكر أبناء الغيب فيما يتعلق بالفتن أو طبيعة المجتمع الإسلامي أو أشراط الساعة.

أشراط الساعة، والفتن، والمجتمع

دأبت كتب الحديث الشريف المتعلقة بالصحيح أو المتعلقة بالحديث الحسن أو المتعلقة بالأحاديث عامة أن تضع العنوان التالي لما يتعلق بأشراط الساعة وهو (كتاب الفتن وأشراط الساعة)، أو (كتاب الفتن).

ونحن في علم اللغو والنحو إذا عطفنا شيئاً على شيء نقول: لقد اشترك الشيئان في الحكم، كأن أشراط الساعة وكأن الفتن مؤشر واحد على قرب قيام الساعة، فإذا أردت وفقاً لهذه الجملة أن تعرف شيئاً عن اقتراب الساعة أو ابتعادها فما عليك إلا أن تقرأ عن فتنة من الفتن، فتقول هذا مؤشر على اقتراب الساعة أو أن تقرأ خبراً عن مستقبل الأمة الإسلامية وما أثرها في الأمم الأخرى تعاهداً أو قتالاًُ، أو أن تقرأ شرطاً من أشراطها فتقول اقتربت الساعة، هل الأمر كذلك؟ لا ليس الأمر كذلك، وإليك البيان.

أ -الفتن وشأنها:

إنَّ الفِتَنَ التي ستنشأ بعد وفاة الرسول بين المسلمين إنما هي واقع يعرفه الرسول بسبب رسالته أي أن الله تعالى يطلعه على شيء من الغيب فيعرف شيئاً من البلاء الذي سيصيب أمته، فيدعو لهم، وينصح عقلاءهم بحسن التصرف، ولكنها ليست مؤشراً على قرب القيامة، واللفظ الذي استعمل في الفتن إنما هو لفظ واحد أو قل عبارة واحدة (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة)[1]، والمعنى أنه سيقع بينكم الفتنة الكبرى تلك، وهي فتنة ولذلك عليكم أن تحسنوا في تصرفكم تجاهها، وليس المطلوب منكم أن تحلوا لغزاً فتقولوا الفئتان هما كذا وكذا، والقيامة اقتربت! هذا ليس له علاقة بقرب الساعة أو بعدها، هذا صفحة قادمة من تاريخ الأمة الإسلامية.

ومثل ذلك قوله ﷺ في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ فيه ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدِّين إلا البلاء»[2] أي ليس به شيء من الألم إلا ما يراه يقع في المسلمين من كثرة المحن وشدة البلاء، إن هذا الرجل يتصف بقول النبي

(1) مختصر صحيح مسلم ٢٩٢/٢

(2) مختصر مسلم ٢٩٣/٢.

ﷺ: «إن المسلمين كالجسد الواحد إذا مرض عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

وهذا المؤمن ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ونفهم من المعنى المخالف أيضاً أنه يكره لأخيه ما يكره لنفسه. إنّ هذا ليس له علاقة بالقرب أو البعد أيضاً بل إن الأخذ بها على هذا الوجه يؤدي إلى التناقض، فإن قلت هاتان الفئتان اقتتلوا، إذاً قربت الساعة، ثم قلت لم يتمرغ أحد على القبر ليقول لصاحب القبر يا ليتني مكانك، إذاً لم تقترب الساعة وإن كثيراً من هذه المواقف تشاهد، ولكن إذا أخذت حرفياً وقلنا هذه وقعت لقرب الساعة وهذه لم تقع مع أنها كما فهم بعضهم من مؤشرات الساعة فكيف أوفق؟ إنها جميعاً تتعلق بالمستقبل أو بالمجتمع الإسلامي، وسوف تحدث جميعاً قبل قيام الساعة ولكن لا تحدد قرباً أو بعداً عن الساعة ذاتها لأن ذلك يقع في علم الله جل وعلا.

ومثل ذلك في الفتن قول النبي ﷺ كما روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ «من حمل علينا السلاح فليس منا»[2] وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[3]، وقوله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كلها تنبيهات لعقلاء المسلمين حتى لا ينجرفوا إلى حرب أو قتال، وعليهم إن وقعت أن يساعدوا في تخفيف آثارها القاسية، إن الحديث التالي يبين الأهداف التي سعينا وراءها، يبينها بسهولة لتكون الغرض الأهم من حياة المسلمين في تلك المراحل التي تنشأ فيها الفتن، قال ﷺ: «ستكون الفتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، مَنْ تشرّف لها تستشرفه فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به»[5].

إما أن تصلح ما ترى من تلك الفتن لأنك تستطيع الإصلاح، وإما ألاّ تشارك فيما ترى لأنك أضعف من تلك الفتن، وإما أن تتجنب المشهد كله، وهذا بيان لكيفية التصرف في الفتن وليس له علاقة بقرب القيامة أو بعدها. إنها أمور

---

(1) فتح الباري/ للعسقلاني ٨٢/١٣.
(2) فتح الباري في صحيح البخاري للعسقلاني ٢٣/١٣.
(3) فتح الباري في صحيح البخاري للعسقلاني ٢٦/١٣.
(4) نفس المصدر السابق.
(5) فتح الباري في صحيح البخاري ٣٠/١٣.

دخلت في علم الرسول ﷺ لقد نفثها روح القدس في روعه، إنه سبحانه يطلعه على بعض الغيب، والله تعالى هو القائل: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1].

ومن مثل الفتن أيضاً تلك التي رواها حذيفة بن اليمان إذ قال ((قلتُ يا رسول الله ـ فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جنهم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها))[2] أرأيت أن غاية المطلوب إنما هو إنقاذ المسلمين من الفتن وأثرها في النفوس، فقدم رسول الله ﷺ بياناً بما يجري ثم أمر أصحابه بما يجب أن يفعلوه.

إن جميع الفتن التي ذكرت تحت باب (كتاب الفتن وأشراط الساعة) في مختلف كتب الحديث كان من الضروري ألا تكتبِ تحت ذلك العنوان، وإنما هي أمور ترتيبية جرت فيها العادة في التأليف فكتبت في مصادر عدة كتبها في مختصر مسلم الألباني والمنذري ورقمها في كتاب فتح الباري محمد فؤاد عبد الباقي وهكذا..

إن الفتن شيء وأشراط الساعة شيء آخر، إنها أمور إجرائية إدارية في التأليف، ولكنها أدت إلى فهم غير دقيق، لقد سمى رسول الله ﷺ أشراط الساعة آيات الساعة، وحصرها في عشر آيات فقط وسيأتي ذكرها.

ب- **أخبار المجتمع الإسلامي**: هذه الأخبار نوعان، نوع يدل على تعاظم المجتمع الإسلامي وتقدمه واشتهاره في العالم، ونوع يدل على الفتن التي ستقع فيه وتسبب له المشكلة تلو المشكلة، وكلا النوعين ذكر في باب (الفتن وأشراط الساعة) في كتب الحديث على اختلاف أنواعها، وليس كل حديث وقع تحت العنوان المذكور يهدف لأن يعرفك عن اقتراب الساعة أو ابتعادها فتقول من بعد قراءته: الساعة اقتربت والدليل الوصف كذا وكذا وما نحن فيه، وتطبق الحديث على مشاهدتك تطبيقاً فردياً قد يكون صحيحاً وقد يكون مغلوطاً وقد يقع

---

[1] سورة الجن آية (٢٦-٢٧).
[2] فتح الباري للعسقلاني ٣٥/١٣.

بين بين، إن هذا القول غير صحيح، لأن هذه الأحاديث لا تقرب ولا تبعد الساعة، إنما هي أحاديث تصف المجتمع الوحيد الذي يلتزم بأمر الله أي بالقرآن الكريم التزاماً قوياً أو التزاماً ضعيفاً أو التزاماً بين بين، لا يجوز لنا أن نفارق معنى الحديث الذي نقرؤه ثم نغرق في الاستنتاجات.

أمثلتهم عن العلامات الصغرى:

هذه طائفة من الأمثلة التي ظنها بعض المؤلفين أنها من أشراط الساعة الصغرى، مع أن رسول الله ﷺ لم ينطق كلمة الصغرى وإنما جاءت في فكر بعض المؤلفين وجرت على ألسنتهم ثم جرت على أقلامهم، إنها آراء اجتهادية وعناوينهم جاءت منهم، وأما الأمثلة فإنها أمثلة تتعلق بمستقبل الأمة الإسلامية وعلاقة هذه الأمة بغيرها من الأمم أو علاقتها بعضها ببعض.

الأمثلة:

١- قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم))، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه»[١].

لقد حدث خلاف تاريخي بين الفاطميين في مصر والعباسيين في بغداد والشام فصار بينهم قطيعة، ووقع احتلال للشام ومصر زمن الصليبيين فوقعت القطيعة وتوقف المد والدرهم والإردب، ووقع احتلال على بغداد وعلى سائر بلاد المشرق الإسلامية، وقطع الاحتلال الصلات بين بغداد والشام ومصر، أصبح الأمر كله بيد التتار وامتد ذلك حوالي القرنين، فتوقف الأردب والدينار والدرهم والمدّ إذاً هذا بيان من رسول الله ﷺ لما سيقع على الأمة الإسلامية، وكيف يجب أن تتصرف الأمة، عليها أن ترفض القطيعة وتسعى للوحدة حتى يرضى الله ورسوله، عليهم أن يعودوا إلى تجمع الأمة، لأنها أمة واحدة، والمعبود هو الله. كيف تجمعون الأمة؟ أولاً بالحوار والمفاتحة بالبرهان والأدلة والتآخي وعقد النية على نبذ النظرة الشخصية من أجل وحدة المسلمين. فانظر إلى غضب الرسول، انظر إلى هذه العبارة الشديدة «وعدتم من حيث بدأتُم» إنه يعلم الأمة أن هذا خطأ، لا بد من وجود مصدر يأخذ أموال الزكاة في الأمة

---

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ج٢ / ٢٩٨.

كلها، لا يجوز أن تتوقف الزكاة، وهذا يقتضي وحدة الأمة، إن رسول الله ﷺ يعلمنا وليس الهدف أن نعرف إن القيامة اقتربت، دع ذلك اليوم لله تعالى، واعمل صالحاً، فالقيامة تأتي عندما يجليها لوقتها سبحانه. اشغلْ نفسك بالعمل وفقاً لما في كتاب الله، كُنْ من المخلِصين المخلَصين.

٢- وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، قوله: «تبلغ المساكن إهاب أو يهاب»[1]، قال زهير قلت لسهيل وكم ذلك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلاً، إن رسول الله ﷺ سعيد باتساع المدينة المنورة، فإن أبنيتها ستمتد حتى يغطي العمران المناطق المحيطة بالمدينة كلها إلى عدة أميال. لا يجوز لنا أن نذهب فنقيس المسافة ونقول قامت الساعة. لا تذكر الساعة إلا إذا قال الرسول هذا من أشراط الساعة، أو قال الله تعالى في كتابه الكريم ذلك، علينا أن ننظر إلى لفظ القرآن ولفظ الحديث، والأصوب أخذ النص كما هو.

٣- أجلكم قصير، روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما أجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس»[2]، وهذا وصف للمجتمع الإسلامي، فإن الأمة الإسلامية لها عمر محدد كما كان للأمم السابقة أعمار محددة، وعمرها إذا أُضيف إلى طول النهار فهو خمس النهار تقريباً، لو كان رسول الله ﷺ موجوداً بيننا أو قل لو كنا نصحبه في تلك الفترة لسألناه السؤال التالي: كم سنةً عاش من قبلنا، أو كم سنةً مرت على هذا العالم حتى الآن؟ فنعرف أنه قد مر كذا وكذا سنةً، إنه من رسول الله ﷺ علم بالغيب، وليس له علاقة بقيام الساعة كما أن الحديث الذي يظنونه من علامات الساعة يقع تحت هذا التقدير، وهو مروي عن حذيفة.

٤- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شرارُكم» وقد فسر الشيخ الفاضل محمد سلامة جبر هذا الحديث بأن القتيل هو الإمام عثمان بن عفّان رضي الله عنه وقد وقعت هذه النبوءةُ، هذا ما رآه الشيخ محمد

---

(1) مختصر صحيح مسلم للألباني ج٢ /ص٢٩٨.
(2) أشراط الساعة وأسرارها ص١٢ من كتاب محمد سلامة جبر / أخرجه الترمذي.

سلامة جبر، وقد ولي عليٌّ بن أبي طالب الحكم من بعده، فهل ينطبق الحديث على عليّ بن أبي طالب ﷺ أيضاً، هل أقول أيضاً اجتلدوا فقُتل علي، وربما غير عثمان وعلي أيضاً. فكيف أطبق هذا الحديث على ما يراه المحدّثون والمفسرون، أو بعض المحدثين والمفسرين، فإذا قلنا تطاول البدوان بالعمران من علامات الساعة، وقلنا كان مقتل عثمان وعلي من علامات الساعة، فإن بين الحادثين الآن ١٤٠٠ سنة، كيف نوفق بينهما؟

فالبدوان بدءوا بالتطاول بالبنيان في عصرنا أي في القرن العشرين، أي عند اكتشاف النفط وتوزيع الثروة بين أهل النفط، ولكنْ قَتْلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مبكراً جداً، إنها حوادث وأنباء بالغيب وقد علّمها الله جَلّت قدرته لرسوله إلى الناس كافة، وهي تنم عن صدق هذا النبي الكريم، فهي علامات ومؤشرات للشعوب الإسلامية التي ستأتي بعد رسول الله، فيجدون في كل ما يذكرونه من حوادث الغيب شيئاً واقعاً فيزدادون إيماناً على إيمانهم، لقد وجدنا في عصرنا هذا شيئين واضحين جليَّيْن على استمرار مطابقة نصوص القرآن والسنة لهذا الواقع، رأينا الأبراج في الإمارات العربية المتحدة والسعودية والكويت، وهذه المناطق كانت صحراوية لا يفكر فيها الناس بدور مرتفعة، فكيف يرى على الطبيعة أبراجاً، هذه واحدة، وأما الثانية فقد حدثت بكل جلاء، وطالما طبقت نصوص القرآن والحديث عليها، فكانت متطابقة تطابقاً لا يتخيله إنسان مهما كانت ثقافة ذلك الإنسان، إنها تجمع بني إسرائيل في فلسطين وعلوِّهم وانتصارهم بمساعدةٍ من كل القوى التي برزت في القرن العشرين، إنها مفارقة عظيمة أن ترى السوفيت منذ عام ٤٨ يمدون إسرائيل بسلاح لقتل الفلسطينيين، وقد توطدت علاقات الغرب كل الغرب بإسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا فتحوا خزائنهم ومصانعهم لبني إسرائيل، ولذلك نقف إيماناً وإجلالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ هذا الوصف لتجمعهم وبنائهم دولة وإمدادهم الذي لا ينتهي، وصف تام شامل ليس فيه ثغرة، كان الخبر عنه في مكة في عام ٦٢٠م، ولو سئل أي منا عن بني إسرائيل، افرض أنك سألت والدي الذي شهد عام ١٩٠٠م ولادته عن هذا لما كان لديه أدنى فكرة، فكيف بمن عاش في ١٨٠٠م أو من ٦٢٠- ١٨٩٠م، ليس لديه شيء يقوله عن هذه المسألة.

هذه أخبار غيب، وهي مؤازرة للرسول ﷺ في نشر الإيمان.

٥- قال رسول الله ﷺ في كتاب الفتن للبخاري: تصدقوا فسيأتي على الناس زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها.

٦- قال رسول الله ﷺ في كتاب الفتن وأشراط الساعة للإمام مسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»[١] وقال رسول الله سيعطيني الله الكنزين وستنفقان في سبيل الله. إن الأمثلة كثيرة عن مستقبل الأمة وما سوف يصيبها من خير أو شر.

---

(١) مختصر صحيح مسلم ٣٠٩/٢.

أَشْراطُ السَّاعَةِ في القرآن والسنة

إنها تلك التي حددها الرسول ﷺ، ولا أتجاوزها إلى ذكر غيرها بالاجتهاد أو التخمين أو استعمال العقل، هذه أمور غيبية، وليس لنا بد من التقيد بذكر الشرط الذي ذكره سبحانه وتعالى أو ذكره الرسول ﷺ وسماه شرطاً، ولذلك لن يذكر هنا أمر يتعلق بما ذكره الرسول عن المستقبل أو عن فتنة ستقع، ولذلك لا يتعرض هذا البحث للعناوين التالية: اقتراب الفتن، ونزول الفتن كمواقع القطر، وعرض الفتن على القلوب، وسرايا الشيطان تفتن الناس وأنواع الفتن، ومعرفة حذيفة بالفتن، وكنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله، وهلاك هذه الأمة بعضها ببعض، وإذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، ويكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً، وبعثتُ أنا والساعة كهاتين، وما بين النفختين أربعون ويبلى الإنسان إلا عجب الذنب وأضر فتنة على الرجال النساء، وإنّ الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، ولتتبعُنَّ سَنَن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في حُجر ضبٍ لاتبعتموهم" لا يتعرض لها كأشراط للساعة وإنما لشيء آخر.

ليس هذا من أشراط الساعة، إن هذه الأحاديث تصوير حيّ قوي للمجتمع الإسلامي ولما يصيبه من خير أو شر، لأن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب رسول وليس زعيم قبيلة أو تاجراً أو أميراً أو ملكاً إنه رسول وبُسط له من علم الله عن أمته شيئاً كثيراً، فكشف من هذه العلوم ما قرأناه وما كتبناه، إن ما كشفه شيء كثير، فهو رسول علمه الله تعالى شيئاً من الغيب، وهذه بركة لرسولنا الكريم، لأنه تعالى يقول: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1]
لقد غلب على المصنفين أن يجمعوا هذه الأحاديث تحت عنوان (الفتن وأشراط الساعة)، هل سيطرة المسلمين على كنوز كسرى وقيصر من الفتن؟ هل زَوى الأرض التي سينتشر فيها الإسلام شرقاً وغرباً فتن؟ هل إنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فتن؟ هل توجيه النبّي ﷺ للمسلمين بألاّ يقتل بعضهم بعضاً فتن؟ لا، ليست هذه الحوادث أو الأفعال أو التوجيهات أو الأخبار من الفتن، ولا هي من أشراط الساعة، إنها شيء من علم الغيب أو توجيهات قيمة من النبي للمسلمين، وقد أُعلم رسول الله بطريق الوحي عن كل هذا.

([1]) سورة الجن آية ٢٧.

أتمسك بنص القرآن تمسكاً شديداً في ذكر أي شرط من أشراط الساعة وأتمسك بنص الحديث الشريف الذي رواه أعلام الحديث عن الشروط المتعلقة بالساعة، إذا رأيتُ أي شرط من هذه الشروط قلتُ نحن الآن بين يدي الساعة.

الساعة تأتي فجأةٍ:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[1]، وقال سبحانه ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[2].

للساعة أشراط وستظل هذه الأشراط بين الناس حتى يظنوها جزءاً من حياتهم العادِيّة، فمنهم من يزرع ومنهم من يبني حوضه ومنهم من يحلب غنمه فما يصل الإناء إلى فيه، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، وهكذا كل في عمله، والحديث الشريف يقول: «تقوم الساعة والرجل يجلب اللّقِحة" يريد أن يشرب اللبن ولكن الرسول ﷺ يقول "فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم»[3]، وقد عبر القرآن عن ذلك بكلمة (بغتة)، فكيف تأتي بغته وهم يشاهدون الأشراط؟ لأنهم ألفوا هذه الأشراط فصارت جزءاً من حياتهم إنهم يسمعون عن حركات الدجال، ويسمعون عن الدابة، ويرون الشمس تغير مطلعها. فتآلفوا مع هذا التغيير حتى صار جزءاً من حياتهم وحياة أهليهم اليومية.

أشراط الساعة في حديث شامل

وقد ورد في كتاب صحيح مسلم الحديث التالي[4] (عن حذيفة بن أُسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟

قالوا: نذكر الساعة قال ((فإنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم

(1) سورة محمد آية ١٨.
(2) سورة النمل آية ٨٢.
(3) مختصر صحيح مسلم ٢/ ٣٠٩.
(4) مختصر صحيح مسلم ٢/٣٠٠.

ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)).

وقد وردت آيات وأحاديث شريفة تشرح كل نقطة من هذه النقاط، أي تشرح المقصود بالدخان والدجال والدابة كما تشرح النقاط السبع الباقية، وقد ورد بعضها في آيات كريمة مثل نقطة الدخان أو عيسى بن مريم (٤) ويأجوج ومأجوج"[١]

لا أظن الأشراط غير ذلك، فهذه ذكرت عن النبي ﷺ، كان الصحابة يتذاكرون حول الساعة، أهمية، وثقلاً وثواباً وعقاباً وطريقة وزمناً، كان حديثهم مفتوحاً، فقال لهم النبي ﷺ: هناك عشر آيات للساعة تتعلق بها وتدل عليها، أي أن غيرها ليس من آيات الساعة. وهذه أفكار عنها أخذت من آيات الكتاب أو أخذت من لفظ النبي كما أوحي إليه؛ فهذه الأفكار محددة المصدر، والمصدر حق.

ذكر أبو هريرة الحديث التالي عن عيسى بن مريم قال رسول الله ﷺ: والله لينزلنَّ عيسى بن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليُقْتَلَنّ الخنزير وليضَعَنّ الجزية، ولتتركَنّ القِلاص فلا يسعى إليها ولتذهبّنّ الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد، ويوجد في هذه النّقطة أي نزول المسيح عيسى بن مريم أحاديث أخرى.

وأما الدابة: فهي التي تكلم الناس، ماذا تقول لهم؟ إنها تقول: إن الناس لم يؤمنوا بآيات الله، وقد أصروا على كفرهم وهم مستمرون على ذلك، فكيف سيكون مصيرهم؟ وأخرج البخاري عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال "تخرج الدابة من هذا الموضع" وهو موضع قرب مكة أرضه يابسة وحولها رمل. ونقل الآلوسي عن أبي هريرة في تفسيره قال: قال أبو هريرة قال النبي ﷺ: «تخرجُ دابةٌ من الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا حتى يجتمع الناس على الخوان ويُعرف المؤمن من الكافر" - قال الترمذي حديث حسن صحيح»[٢].

---

[١] مختصر مسلم ٣٠٨/٢.
[٢] تفسير الآلوسي جـ٢/ص٢١.

وأما الدجال: فقد ذكر عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليفرّنّ الناس من الدجال في الجبال قالت أم شريك يا رسول الله! "فأين العرب يومئذٍ؟ قال هم قليل».

وورد عن (الدخان) آيات في سورة الدخان، قال سبحانه:-

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾!

هكذا كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: يا مجنون، إن أحدنا لو سمعها مرتين من أقاربه وأهله ورأى أنهم يحطون من قيمته، فإنَّه يصيبه ألم لا يفارقه أبداً وهو يردد: عمي يقول لي مجنون، وأخى تخلى عني ويقول للناس إنه مجنون ليشتفوا بي! لكن الرسول ﷺ قالوا له (مجنون) في مكة إحدى عشرة مرة، كما في القرآن الكريم لماذا؟ لقد كان صبره في أحد عشر موقفاً نادراً يفوق التصور، إنهم يرددون هذا الشتم دائماً، وكان المجتمع كله يصفه بالجنون، إذاً فنِعم الأنبياء ونعم صبرهم.

الدخـان:

دَعْ ذلك وانظر لآية الدخان، ولا أريد أَنْ أتجاوز قول المفسر الشيخ الشوكاني إذ قال: إن هؤلاء في شك من التوحيد فانتظر لهم يا محمد شرطاً من أشراط الساعة يمكث أربعين يوماً.

ورأى آخرون أنه عذاب أصيبت به قريش، ورأى أن أسلوب الآية يعطي للوجهين نصيباً من الصحة وما أكثر تلك الآيات التي جاءت لتعطي عدة أفكار في شيءٍ واحد وتفسير واحد، فهي قد أصابت قريشاً، وقد ذكر البخاري، وطلبت مضر منه رفع العذاب ونزول المطر فاستسقى لهم وزال الكرب.

إن طبيعة الرسل هي الرأفة، وقد علمنا عن آيات موسى (عليه السلام) التسع في مصر، وكيف كان أهل مصر وقتذاك يهرعون إلى موسى (عليه السلام): يا موسى ادع لنا ربك يخفف عنا العذاب، ادعه أن يرفع عنا القمل والضفادع والدم والسيول ونحن نتبع أمرك، ونطلق بني إسرائيل معك، فيدعو الله تعالى ويرفع عنهم العذاب، لأن طبيعة الرسل هي هذه، والله تعالى أعلم

بنواياهم لأنهم لا يريدون الدين حقيقةً وإنما يريدون رفع العذاب، ولكن الله تعالى وعد بالاستجابة، فلما رفع عنهم العذاب عادوا للسفه والتكذيب حتى جاءهم الغرق، كما ورد في كتاب الله شيء عن عيسى بن مريم، قال سبحانه:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1]

كلمة (إنْ) في الآية تعني (لا) أو (ليس) فهي أداة نفي، فالمعنى لهذه الآية الكريمة: لا يموت نصراني أو يهودي إلا ويؤمن بالمسيح (عليه السلام)، وقد وجدنا أن أكثر اليهود في زمانه رفضوه، ثم حاولوا قتله، إن كفرهم واضح، بل قد تجاوزوا حد الكفر، إذاً الآية لا تتحدث عن موته بعد أن ظن اليهود أنهم قتلوه، إنها تتحدث عن عودته، فيعلن دعوته ويؤمن به كل يهودي ونصراني في ذلك العصر - ولم نذكر المسلم لأنه يؤمن به ويتوقع عودته في يوم من الأيام، وقال المفسرون: إن المسيح عليه الصلاة والسلام سينزل ويخاطب اليهود والنصارى فيؤمنون به جميعاً، وانظر إلى أسلوب الآية: إن... إلاّ، تقول إن أنت إلا مزارع، أي أنت محصور بهذا لعمل فقط، وهم لا يجدون طريقاً أمامهم إلا الإيمان، ويكون عيسى عليه السلام شهيداً على كل المؤمنين، فهو ما نزل إلا مبشراً بالإيمان وسيشهد على جميع أهل الكتاب، إن رحمة الله واسعة إن رحمة الله قريب من المحسنين، وهذا التأكيد جاء من أسلوب الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾.

وقد جاء خبرُ يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم، وجاء خبرهم في الأحاديث الشريفة، وهذه نبذة عن ذلك:

قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ وشرح هذه الآية موحد عند المفسرين، كأنهم يصدرون بآرائهم عن مشكاة واحدة، فهم على قول واحد: وهو "فُتح السد الذي عليهم فخرجت قبائل يأجوج ومأجوج يسرعون في مشيهم إلى حيث قدَّر الله لهم، لقد اقترب الوعد الحق اقترب يوم القيامة، وفي السياق نفسه

([1]) سورة النساء آية ١٥٩.

يروي البخاري عن زينب بنت جحش قالت: " استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه وهو يقول لا إله إلا الله" ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه قيل أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث[١].

وقال النبي ﷺ فيهم "أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ إنّ يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعدا" وذلك إشارة إلى أعدادهم الهائلة فقدر روي أنهم يمرون على بحيرة كبحيرة طبريا فيقول من يمر بعدهم بالبحيرة كان هنا بحيرة، ومن أبرز علامات خروج يأجوج ومأجوج نزول عيسى عليه السلام، ويبدؤون بالفساد في الأرض فيهلكون الناس ويهلكون الحرث، ولكن سيدنا المسيح عليه السلام يدعو عليهم دعاءً حاراً، فتأتيهم ديدان تنهش رقابهم فيموتون جميعاً كنفس واحدة ، ويملؤون الأرض عفنا وروائح كريهة، فيكرم الله تعالى الرسول عيسى عليه السلام والمؤمنين معه بأمطار تغسل الأرض من قذارتهم، فكأن اليأجوجيين والمأجوجيين ما كانوا، لقد كثرت الأحاديث الصحيحة في وصفهم ونحن نكتفي بالخلاصة السابقة.

وربما ينطبق الحديث الشريف «ويل للعرب من شر قد اقترب» على يأجوج ومأجوج لأنه ﷺ قال: إذ سئل وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، وقد بدأ عام ١٢١٩ يشهد موجات التتار تهاجم خوارزم وأفغانستان وإيران حتى هدمت بغداد، هل هذه إشارة إلى يأجوج ومأجوج؟. نظن ذلك ظناً، ولكنهم كسروا في الأرض المباركة فلسطين وذلك في معركة، عين جالوت في عام ١٢٦٠م سابا وعسى الله تعالى أن يبعث قائداً ظاهراً قوياً كظاهر بيبرس وأميراً قوياً شجاعاً كالأمير قطز فينقذ الأرض المباركة أرض المحشر أرض الخلافة القادمة الراشدة كما ندرس في بعض كتب الحديث او كتب السيرة، ندعو الله جلت قدرته وهو سميع الدعاء.

---

(١) فتح الباري مجلد ١٣ ص ١١.

وأما طلوع الشمس :

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من يقبل أو كسبت في إيمانها خيراً» رواه الشيخان.

الخسوف الثلاثة : هي خسف بالمشرق، ولا نستطيع تحديد هذا المشرق، هل هو في الصين أو في الهند أو في باكستان أو غير هذه جميعاً، لا نستطيع التحديد لأن رسول الله ﷺ لم يوح إليه بذلك، وربما أوحي إليه ولكن الحديث لم يصل إلينا ولكنه ليس في جزيرة العرب.

وخسف بالمغرب هل هو في الأرض المباركة أو في أوروبا أو المغرب على المحيط الأطلسي، لا ندري لأنه غيب، ولم يصل إلينا خبر الغيب هذا.

وخسف بجزيرة العرب، وهذا واضح المكان لأن الرسول (ﷺ) حدد المكان، وما أثره ومساحته وحجمه لا ندري أيضاً لأنه غيب.

لقد أشار بعضهم أي بعض المحدثين والمفسرين أن ثمة إشارة إلى خسف في جزيرة العرب، لقد فهموا ذلك من الحديث التالي: (عن عبد الله بن القبطية دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ يعوذ عائذ البيت فيبعث إليه بعث فإذا كان ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته) قال أبو جعفر هي بيداء المدينة – مختصر صحيح مسلم ج٢/ص٢٩٨.

وقد روي الحديث من ثلاث طرق، عن أم سلمة وعن عائشة وعن حفصة، أنه لم يحدث حتى الآن، فإذا قلنا إن عبد الله بن الزبير عاذ بالبيت، قلنا إن جيش الأمويين وصل إلى مكة ولم يخسف به، وقاتل الجيش عبد الله بن الزبير وأنهى كيانه، إن أي اجتهاد في شرح طبيعة هذا الجيش وطبيعة الخسف في جزيرة العرب غير مثمر ولا يؤدي أي غرض، إن هذه من أمور الغيب ولم يصل إلينا شرح عن هذا الأمر، فأي اجتهاد فيه خاطئ سواء من قال إنها حرب نووية تدمر العالم، أو أن هذا ربما يعني ابن الزبير، أو أي شرح آخر، كله تصورات وتخيلات ولا يجوز أن تخضع فكرة الحديث للخيال .

وأما الدجال :فهو فتنة عظيمة، ثقيلة على نفوس المؤمنين جميعاً، وقد ذكر المحدث أبو داود ما يلي عن النبي ﷺ (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال) ولذلك تجد المحدثين يقولون سيحدث هذا الشيء بعد الدجال وسيحدث ذلك قبل الدجال، فقد أصبح الدجال مثل التاريخ الميلادي أو الهجري يؤرخ للأشياء به، وإن هذين العنوانين يريانك أيها القارئ صحة هذا الرأي، جاء في كتاب (مختصر صحيح مسلم ج٢- صفحة ٢٩٦) العنوان التالي " باب في قتال الروم وكثرة القتل عند خروج الدجال، وجاء العنوان التالي أيضاً في الصفحة التالية " باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال " [١] ألا إن هذا أمر عظيم حقاً.

ولنقرأ لرسول الله (ﷺ) الأحاديث التالية عن الدجال فنعرفه من المصدر الأصيل الموثوق حق المعرفة: " قال رسول الله ﷺ: لأنا أعلم بما مع الدجال معه نهران يجريان، أحدهما - رأي العين – ماء أبيض والأخر – رأي العين – نار تأجج، فإما أدركن أحداً فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب " [٢] وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حديثا قريب الصلة بهذا الحديث قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[٣] .

وقال الرسول ﷺ: «ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه؟ إنه أعور وإنه يجيء بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه»[٤] ولقد تأثر الشيخ سلامة جبر بهذه الآية من آيات الله فكتب عن أشراطها وأسرارها ١٣٤ صفحة كان نصيب الدجال منها ١٠٠ صفحة، وهذا يجعلك تعرف ما الفتن التي سيحملها للمسلمين فيضل كثيراً منهم، ولكن الله تعالى ينقذ الأمة برسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام، الذي بحث عنه وسعى في قتله حتى قتله في باب (لد) .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ج ٢ /ص ٣٠٢
(٢) مختصر صحيح مسلم ج ٢ / ص ٢٩٦
(٣) مختصر صحيح مسلم ٢ / ٣٠٢
(٤) اشرطا الساعة وأسرارها ص ٢٧ للشيخ محمد سلامة جبر / متفق عليه.

وأما الريح الطيبة: وهي آخر حلقة من حلقات المسلمين أو المجتمع الإسلامي، فإني لا أحسم أمري فأقول إنها من أشراط الساعة لأن المسلم أو المسلمين جميعاً إذا هبت هذه الريح فإنها تميتهم جميعاً، وسميت طيبة لأن نزع الروح يكون بسيطا وسهلاً تدغدغ المسلمين في ذلك الجو الهائل من الفساد فيموت ولا يشعر أنه يموت، بل يتمتع بتلك النسمات العليلة ليس هناك الآن ضرورة لحساب ما مر وما بقي، وإنما إنهاء للحياة فلا يعي المسلم من ذلك شيئاً، كل شيء يتم بسرعة كأنه وميض برق، وهي محببة في طيبها ونعومتها.

قال رسول الله ﷺ «ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»، قال النبي (ﷺ): «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس»[1] وقد ورد في حديث آخر شيء عن صفتها، فقال النبي (ﷺ): «ريحا ألين من الحرير».

تعقيب: لقد انتهت الأشراط التي تدل على الساعة، وهذه بيانات عنها لتزيد الأمر إحاطة ووضوحاً ، وأول أمر فيها أنها عشر آيات، وأن غيرها لا نسميه علامات الساعة الصغرى أو الكبرى وإنما هو أخبار عن مستقبل المجتمع الإسلامي والأفراد المسلمين وما يصيبهم من خير أو شر، وستكتمل الصورة بما سيأتي من علامات وأخبار وحقائق عن المستقبل فيما يتعلق بالإسلام والمجتمع الإسلامي والمسلمين.

الأشراط عشرة فقط:

ذكر كتاب صحيح مسلم (٨٢) حديثا شريفا تحت عنوان (كتاب الفتن)، وكان للبخاري عدد يقارب هذا العدد وبعنوان مماثل، وكانت صيغ هذه الأشراط متقاربة وذلك مثل «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقول النبي ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، وقوله: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث» وقوله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان» وقوله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوّلهم وآخرهم»، لقد اختلطت الموضوعات بعضها ببعض ولم تكن العناوين مناسبة لما تحتها من موضوعات، فهل حديث (زويت لي الأرض وسيبلغ ملك الإسلام ما زوي لي)، وهل اتساع

([1]) في كتاب صحيح مسلم برواية عبد الله بن عمر بن العاص.

بناء المدينة من الفتن؟ وهل افتتاح مدينة نصفها في البر ونصفها في البحر فتنة، وهل ظهور أشراط الساعة مثل ظهور الدابة أو طلوع الشمس من مغربها فتنة، لقد اختلطت الفتن مع البشريات مع أشراط الساعة مع أنباء الغيب، لقد اختلطت اختلاطاً شديداً، فلم يعد عنوان (الفتن يناسبها، ولم يعد عنوان (الفتن وأشراط الساعة) يناسبها، كان الأولى أن تقسم هذه الموضوعات الكثيرة تحت عناوين تلائمها، وستكون عناوين عديدة ولكنها تبين ما تضمه من موضوعات فالفتن لها عنوان وأشراط الساعة لها عنوان، وانكفاء الناس إلى الشر لها عنوان، وعزة الإسلام وانتشاره لها عنوان وهكذا.. ولكن العناوين التي يضعها البشر، قد لا تكون في موضعها الصحيح الملائم؛ فالإنسان خطاء مهما أوتي من علم ومعرفة، وكانت عناوين كتابي صحيح مسلم وصحيح البخاري غير دقيقة في موضوعنا هذا، ولذلك جاءت الانتصارات واتساع ملك الإسلام والأوامر والنواهي وأشراط الساعة جاءت كلها تحت عنوان واحد غير مناسب وهو (كتاب الفتن).

لماذا قال النبي ﷺ: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» وهي:

(١) الدخان (٢) والدجال (٣) والدابة (٤) وطلوع الشمس من مغربها (٥) ونزول عيس (٦) ويأجوج ومأموج (٧) وثلاثة خسوف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب (١٠) ونار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى محشرهم، ولم يقل حتى تروا (٨٢) اثنتين وثمانين آية، فلم يذكر تطاول الناس بالبينان، ولم يذكر قتل الناس إمامهم، ولم يذكر أن الأرض زويت له فرأى ما سيبلغ ملك المسلمين من الأرض، ولم يذكر (فئتان تقتتلان ودعواهما واحدة) و...، و...، و...، إنه لم يذكر (٧٢) علامة يعدها بعض كتاب الحديث من أشراط الساعة، ويبدو أنها دخلت تحت هذا العنوان بافتراضات الناس الذين ألفوا، ولو أطلق عليها اسم آخر لجاز لنا ذلك، مثل: أخبار الغيب، ما صورة المسلمين ومجتمع المسلمين في المستقبل، فارتأيت أن أُطلق عليها في هذا الموقف (صورة عن المسلمين في مستقبلهم) وبذلك تبدو الأشياء المتعلقة بهذا المجتمع كله، خيره وشره.

قضيتان مهمتان:

أ- القضية الأولى هي : هل وقعت العلامات الصغرى وانقضت؟ أم لم تقع؟

.

ب- من الذين ستقوم عليهم الساعة؟ هل هم المؤمنون أم هم الجاحدون؟

القضية الأولى : العلامات الصغرى

١- التطاول بالبنيان: ما التقيت بصديق أو قريب إلا إذا تحدثنا في الدين والآخرة والإسلام وأشراط الساعة قال: العلامات الصغرى انقضت وانتهت، ولا أجد لدى من يقول ذلك من الناس عامة دليلاً إلا ما قاله رسول الله (ﷺ): " لا تقوم الساعة حتى يتطاول البدوان بالبنيان " ليس هناك إشارة في الأذهان كتلك الإشارة ، ولكني أظنها غير كافية للاستدلال بها، فالحديث له روايتان: أولاهما للإمام مسلم، وهي: يتطاول البدوان بالبنيان، وثانيتهما للأمام البخاري: يتطاول الناس بالبنيان، ولكن هذه أشمل رواياته لهذا الحديث " لا تقوم الساعة حتى ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"

إن تطاول البدوان بالبنيان لم يزل في خطواته الأولى، وتطاول الناس بالبنيان كأنه لم يبدأ، فالمليارات الثمانية في الأرض تحتاج إلى أموال طائلة لبناء الأبراج أي الأبنية المتطاولة، وتحتاج لعقول كثيرة وأزمنة طويلة، فالأمر غامض حتى الآن.

ملاحظة: العلامات القادمة ستذكر بإيجاز وسترِوى أحياناً بالمعنى من أجل الإيجاز وإعطاء صورة واضحة عن الآيات كلها أو أكثرها"

٢- إخبار النبي (ﷺ) عن مقتل بعض الصحابة: عمر وعثمان وعلي، وعمار بن ياسر، قتل عمار في صفين، وقد قال النبي ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية يا عمار».

٣- مدح الرسول ﷺ الإمام الحسن بن علي وقال: «إن ابني هذا سيد وإني لأرجو الله أن يجمع به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

٤- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم.

٥- لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان من المسلمين.

٦- لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج (بمعنى القتل).

٧- (....)[1] حتى تكثر الفتن ويصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً.

٨- ... حتى يكون أسعد الناس لكع بن لكع.

٩- ... حتى يرفع العلم.

١٠- ... حتى يفتح بيت المقدس

١١- حتى يأتي مرض يهلك الناس كقعاص الغنم.

([1]) النقط تنوب عن عبارة (لا تقوم الساعة).

١٢- ... حتى يكثر الزنا.
١٣- ... حتى يكثر شرب الخمر.
١٤- ... حتى يقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لكل خمسين امرأة قيّمٌ واحد.
١٥- ... حتى أن تداعى عليكم الناس كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها.
١٦- ... حتى تفقد الأمانة.
١٧- ... يوسد الأمر لغير أهله.
١٨- ... حتى يلقى الشح.
١٩- ... حتى تلد الأمة ربتها.
٢٠- ... حتى يظهر المهدي وهو من آل بيت النبي ﷺ فيملأ الأرض عدلاً.
٢١- ... وحتى يفيض المال.
٢٢- ... وحتى تعقدوا هدنة مع بني الأصفر فيغدرون.
٢٣- ... وحتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة.
٢٤- ... وحتى تكثر الزلازل.
٢٥- ... وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ليتني مكانه.
٢٦- ... وحتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كشهر.
٢٧- ... وحتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة.
٢٨- ... وحتى تعبد اللات والعزى.
٢٩- ... وحتى يأتي زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا يدري المقتول في أي شيء قُتل.
٣٠- وحتى يخرب ذو السويقتيْن من الحبشة بيت الله.
٣١- ... وحتى تقاتلوا قوماً من الترك وجوههم كالمجان المطرقة عيونهم صغيرة ويلبسون الشعر ونعالهم الشعر.
٣٢- ... لتفتحن عصابة من المسلمين كنز آل كسرى.
٣٣- ... حتى تقاتلوا اليهود ويقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبدالله ورائي يهودي فاقتله.
٣٤- ... حتى تظهر الفتن تموج كموج البحر.
٣٥- نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وهي أول أشراط الساعة.

٣٦- ... حتى يُخسف بجيش يريد البيت فإذا كانوا في البيداء خُسف بهم.
٣٧- ... حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من الثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله.
٣٨- ... حتى يبلغ ملك أمتي ما زوي لي (أي أن الله تعالى زوى له الأرض، كما تجمع الأشياء بين يديك لتعرفها).
٣٩- ... حتى تمنع العراق درهمها والشام مدها ودينارها ومصر إردبها ودينارها، قال النبي ﷺ: (منعت العراق... وذلك لتأكيد وقوع الشيء وقربه).
٤٠- ... تبلغ المساكن إهاب أو يهاب) قال زهير: قلت لسهيل وكم ذلك من المدينة قال كذا وكذا ميلاً.
٤١- ... سمعتُ رسول الله (أي ابن عمر سمع النبي) يقول: إن الفتنة تجيء من ها هنا وأشار إلى الشرق.
٤٢- ... قال النبي "قد مات كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.
٤٣- ... سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة، ما هي؟ سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها".
٤٤- لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه.
٤٥- ... يهلك أمتي هذا الحي من قريش قالوا فما تأمرنا؟ قال لو أن الناس اعتزلوهم.
٤٦- ... حتى تخرج نار من الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى.
٤٧- حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.
٤٨- حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه.
٤٩- حتى ترفع الأمانة من القلوب.
٥٠- ... قال النبي "ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء.

ملاحظات

هل انتهت أو هل وقعت تلك الأحداث ثم انقضت؟ هل نستطيع أن نقول انتهت؟ أي نقطة من النقاط التي تدل على أشياء عامة لم يحصل فيها حسم بأنها انقضت، وأكثر النقاط تدل على أن شيئاً منها لم يقع بعد، إن بعض الأخبار عن صحابة النبي قد وقع منذ زمن بعيد، عند مقتل عمر في الحديث الذي رواه حذيفة، أو عن إفطار النبي ﷺ غداً مع النبي، أو عن مقتل عليّ بن أبي طالب، وقد أخبر النبي ﷺ أنه سيقتله شقيُّ الداريْن، أو عن مقتل عمار بن ياسر كما أسلفنا من قبل، أو عن إصلاح سيدنا الحسن ﵁ بين فئتين من المسلمين وقد سماه الرسول في هذا الموقف (سيداً)، وكان ذلك تعظيماً لقدره ومنزلته وأما ما تعلق بالأحداث العامة كاتساع ملك الإسلام، وكثرة النساء وقلة الرجال وانحسار الفرات عن جبل من ذهب، والقائد الذي سيقود العرب بعصاه وقد سمي في بعض الروايات بالجهجاه، وقبض العلم، وارتفاع الأمانة، وأن الفتن تجيء من ها هنا وها هنا إشارة إلى نجد فإن هذه البلاد ما زالت مصدر نور وإشعاع بفقهائها وعلمائها، وأنْ تلد الأمة ربتها، وأن يظهر المهدي وهو من آل البيت وأن يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ليتني مكانه، وأن يخسف بجيش يريد البيت فتنشق الأرض بهم وأن يخرب الكعبة ذو السويقتين، وأن يقاتل المسلمون اليهود فيقول الشجر والحجر يا عبد الله يا مسلم ورائي يهودي تعال فاقْتُله. أما ما تعلق بهذه الأمور كلها فلم يقع شيء منها، والعلامات الأخرى يحيط بها الشك وقوعاً وحدوثاً أو انتهاءً وقضاءً.

كل قارئ يستطيع أن يتحاكم إلى هذه الأمارات فيعلم ما يحيط بها، ويستطيع أن يعلن أننا في حال ترقب، إنها ستقع ولكنها لما تقع بعد، وأظن أنَّ أيَّ واحدةٍ من هذه الأحداث التي ينتظرها الناس قبل أشراط الساعة الواضحة المحددة العشرة لم يقع، وعسى الله تعالى أن تكون نافعة في تثبيت الناس على إيمانهم، والتفافهم حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لم أجد أدلة على الانقضاء، وإن ما قاله الرسول ﷺ عن المستقبل بعبارة (لا تقوم الساعة) حتى يحدث كذا وكذا، ما بدا منه إلا تلك الأعمال التي وقعت في عصر الصحابة، أراد الرسول ﷺ أن ينبه أصحابه إلى ما يعده الله لهم من

الخير، وما يمكر به الشيطان لهم به من شر، فيحمدوا الله على عطائه ويحذروا مكر الشيطان.

ولذلك لا أرى سبباً يجعل الشيخ عبد العظيم بن بدوي الخلفي يقول: (فمن علامات الساعة التي ظهرت ومضت بعثة النبي ﷺ!، ثم موت النبي... ومنها علامات ظهرت ومازالت تظهر أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)[1]، ولا أرى ضرورة لقول السيد أمين محمد جمال الدين أن يقول:

(نقرر ابتداءً أن العلامات الصغرى قد ظهرت جميعاً ونحن في انتظار العلامة التي تعتبر حلقة الوصل بين العلامات الصغرى والآيات الكبرى ألا وهي ظهور المهدي عليه السلام الذي يتزامن مع انحسار الفرات)[2]، لأنها لم تنته

وربما لم تبدأ بعد، ولأن انحسار الفرات عن جبل من ذهب لم يحدد زمانه أهو قبل المهدي أم بعده، فنحن نضيّق الخناق على أفكارنا، ونتصور الغيب الحق تصوراً ليس له سند.

وقد قارنت بين العلامات الصغرى لدى السيد الشيخ عبد العظيم الخلفي وبين السيد الشيخ أمين محمد جمال الدين فرأيت بينها خلافاً، وستزداد الخلافات بمقدار ما يتسع الوقت للقارئ في قراءته.

والقول ذاته يقع على السيد الشيخ محمد سلامة جبر، إذ قال: (وقد وقع كل ما جاء في هذا الحديث مما يعتبر من العلامات الصغرى) وأما الحديث فهو: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتها واحدة وحتى دجالون كذابون قريب من ٣٠ كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج (وهو القتل)، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس بالبنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، إذاً يعد ١١ آية من أشراط الساعة، ثم يقول (وقد وقع كل ما جاء في هذا الحديث مما يعتبر من العلامات الصغرى للساعة، أما العلامات الكبرى كطلوع الشمس من المغرب وتقارب الزمان فذلك يكون في نهاية النهاية بعد نزول عيسى وقتله الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج وإهلاك

([1]) كتاب رحلة في رحال اليوم الآخر ص١٥.

([2]) القول المبين في الإشراط الصغرى ليوم الدين ص١٢.

الله لهم ببركة دعاء عيسى)، وقال أيضاً: (والحق الذي لا مراء فيه أن كافة الآيات الكونية والأدلة اليقينية تؤكد ما انتهيتُ إليه في هذا الكتاب من اقتراب يوم النهاية ثم يوم السحاب)(١).

لم يتفقوا في عددها ولم يثبت لأي منهم ولأي من الذين قرأتُ لهم عن ذلك الموضوع موقع أي من الفتن كما قالوا أو أي من علامات الصغرى كما قالوا أيضاً.

نحن نجتهد في أمر غيبي، وهو اجتهاد محكوم عليه بالخطأ سلفاً، الغيب لله ولم تفسر الأحاديث مواقع هذه الأحداث ولا طبيعتها، إنما هي إشارات فعلينا أن نعيد ذكرها، كإشارات. إنك أيها القارئ ستحتار في شروحهم جميعاً عن: تقارب الزمان، والهرج، وأن تلد الأمة ربتها، لا يوجد شيء يتفقون فيه، ولذلك ندرك أن هذا غيب وعندما نرى الإشارة التي وردت فإننا نتحقق منه.

المهـدي:

من أهم الأحداث التي أشار إليها النبي ﷺ حدث المهدي، وقد ذكر بعضهم باجتهاد من عنده أن المهدي هو الحد الفاصل بين العلامات الصغرى والعلامات الكبرى، أو قل بين أخبار المجتمع الإسلامي وأحوال المسلمين وبين أشراط الساعة، وهذا حديث شريف رواه أبو داود بسند حسن، عن أم سلمة قال النبي ﷺ: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث في الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، كما جاء في رواية أحمد وأبي داود والترمذي عن ابن مسعود قول النبي ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وزاد أبو داود في روايته يملك الأرض سبع سنين وزاد الترمذي: المهدي من عترتي آل بيتي.

ولم يرد ذكر المهدي في كتابي البخاري ومسلم، ولكن جاء في الحديث الشريف الذي موضوعه (الخسف بالجيش الذي يؤم البيت)، فذكر رسول الله ﷺ العائذ الذي يعوذ بالبيت فكان الخسف ليحمي الكعبة ويحمي العائذ، قال

---

(١) أشراط الساعة وأسرارها لمحمد سلامة جبر ص٨.

النبي ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» قال أبو جعفر هي بيداء المدينة[1].

إذاً المهدي يحمل اسم النبي، ويحكم ٧ سنين، وهو يملأ الأرض عدلاً، ووقته يناسب وقت المسيح عليه الصلاة والسلام كما يناسب ظهور الدجال لأن المسيح يقتله.

القضية الثانية

من الذين تقوم عليهم الساعة؟

هم شرار الناس، وكيف عرفنا ذلك؟

سأذكر الأحاديث التي تلتقي عند هذه الفكرة، أي قيام الساعة والأرض يعمرها شرار الناس، وهذه الأحاديث وردت مفصلة في أوضاع مختلفة، ولكنّها إذا جمعت مع بعضها بعض فإنها تؤدي إلى تلك الفكرة (تقوم الساعة على شرار الناس)، وهذا بيان ذلك.

١- قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله» هذه رواية أنس بن مالك، وأما رواية عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» جـ٢/ص٢٩٤- ٢٩٥.

٢- عن عائشة أم المؤمنين أنّ النبي ﷺ قال: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزّى»، فقلت يا رسول الله إنْ كنتُ لأظن حين أنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ أنّ ذلك تام، قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم. مختصر مسلم ٢/ ٢٩٥

٣- وقال أبو هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة، وكانت ذو الخلصة صنماً تعبدها درس في الجاهلية بتبالة وهي من أرض اليمن. مختصر مسلم ٢٩٣/٢.

---

[1] مختصر صحيح مسلم ٢٩٨/٢.

وهذه الأحاديث ذاتها أوردها البخاري وشرحها العسقلاني في كتابه فتح الباري في المجلد الثالث عشر، وما أوردتها إلا لإظهار الأسف أنّ الأمم التي بلغت بالقرآن ارتدت على أعقابها، لماذا ارتدوا لماذا ترك الخير؟ لا يوجد سبب أو دليل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

الخلاصة

١- أشراط الساعة عشرة، وقد وردت في الأحاديث الشريفة في المصادر المتعددة المتنوعة، وهي: الدخان، والدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

٢- ليس لدى الرواة شيء محدد عن ترتيبها، ويوجد في ذلك أحاديث متعددة، ولكنها لم تبين السابق والمسبوق، فكل ترتيب لها كان من الدارسين والمجتهدين؛ وقد وقع بينهم خلاف في هذا، ولسنا ملتزمين بأي اجتهاد منها والله أعلم بكل شرط من أشراطها، ما طبيعته بالضبط ومتى يأتي بالضبط، كل هذا بيد الله.

٣- إن كل علامة أو صفة أو حدث ذكره الرسول ﷺ غير تلك العشرة ليس له علاقة بأشراط الساعة فلا هو علامة ساعة صغرى ولا هو إشارة ساعة وإنما هو: وصف لأحداث ستقع على المجتمع الإسلامي وعلى المسلمين أو علاقة بين المسلمين وغيرهم عرفها رسول الله ﷺ لأنه نبيّ مرسل فأطلعه الله على بعض الغيب، وكان الأوْلى كتابة تلك الأحداث تحت عناوين أليق وأنسب من عنوان كتاب الفتن؛ لأن ما حدث عنه الرسول أنواع منوعة منها ما هو لقوة المسلمين وخيرهم وبركتهم ومنها ما هو حدث لحماية المسلمين من الخطر ومنها ما كان فتنةً، ومنها ما كان إرشاداً أو شرحاً لهم كيف يتصرفون في المستقبل، ويستطيع أحدنا الآن أن يقرأ الحديث فيحاكم نفسه لديه ويقول ماذا أفهم منه وماذا عليّ.

٤- إن كل حدث يقع يوجب علينا أن نسأل أنفسنا، هل أنا مؤمن حقاً، وهل بعد أخبار الغيب من وازع للإيمان أكثر منها!

المصادر المراجع

١- عذاب القبر وما ينجي منه، عكاشة عبد المنان – مكتبة الإمام علي – الزرقاء الأردن ط١/ ١٩٩٩.

٢- الحياة بعد الموت – حقيقة أم خيال – نايف زهر الدين – رياض الريس للكتب والنشر والتوزيع، بيروت،٢٠٠٨م.

٣- سفر في عالم البرزخ – للشيخ إبراهيم نايف السباعي – دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨م ١٤٢١ هـ بيروت لبنان

٤- إثبات عذاب القبر لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق شرق محمود القضاة ط٣ – دار الفرقان – عمان الأردن.

٥- عذاب القبر في الميزان – عكاشة عبد المنان الطيبي، دار الاعتصام ط١، ١٩٩٢ الزرقاء الأردن.

٦- دراسات عقدية في الحياة البرزخية – دار ابن حزم – للمؤلف الشريف عبد الله بن علي الحازمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٧- مختصر صحيح مسلم تحقيق الألباني، وزارة الأوقاف، الكويت.

٨- مختصر التذكرة للشعراني – تحقيق الدكتور عبد الرحمن البر – دار اليقين للنشر ط١ عام ٢٠٠١، المنصورة مصر.

٩- الصحيح من التذكرة للسيد مجدي فتحي حسن – ط١، ١٩٩٥ – دار التراث للصحابة طنطا مصر.

١٠- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك – للسيوطي – دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.

١١- عذاب القبر ونعيمه – للقرطبي، دار الغد الجديد، المنصورة – ط١ عام ٢٠٠٢م المنصورة – مصر.

١٢- الحياة بعد الموت لإبراهيم محمد الجمل- دار الكتاب العربي ط١ – ١٩٨٥ بيروت.

١٣- الجامع الصحيح – البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري.

١٤- الأذكار المنتخبة للنووي.

١٥- عذاب القبر ونعيمة – للقرطبي – تحقيق الشيخ أحمد جاد – دار الغد الجديد – عام ٢٠٠٢ المنصورة مصر.

١٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
١٧- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
١٨- رحلة في رحاب اليوم الآخر، عبدالعظيم بن بدوي الخلفي، دار ابن رجب ط١-١٩٩٦م عمان، الأردن.
١٩- أشراط الساعة وأسرارها ـ محمد سلامة جبر ـ ط٣ ـ مطابع الخط، دار الاستاتبولي ـ ١٩٨٩م.

موضوعات البرزخ

الموضوع	الصفحة